



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







مَجَالِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عني بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شينجو اليسوعي

الجزء الثالث



مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

893:78

C411

v. 3

c. 1

أَلْبَابُ الْأَدَبِ فِي التَّدِينِ

فِي كِمَالَاتِهِ تَعَالَى

١ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنْبَاءِ . وَمَكْمُورُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمْ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعْهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لِأَصِفَةٍ لَهُ . وَكَوْنُهُ لِأَمْدَلِهِ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالصُّورُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَنْبَاءُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تُجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَابَلَةُ .
وَلَسْتَ حَيْلُ عَلَيْهِ الْمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودُهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأَ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجُلُوسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِسْمَ لَهُ (وَإِنْ قُلْتَ: كَمْ هُوَ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ. مَتَّفِرِدٌ
بِصِفَاتِهِ. وَإِنْ قُلْتَ: هَتَى كَانَ. فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ إِنْ قُلْتَ:
كَيْفَ هُوَ. فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةَ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ. وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةَ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ. وَإِنْ قُلْتَ: هُوَ فَالْمَاءُ وَالْوَاوُ خَلَقَهُ. فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ. فَهُوَ بِخِلَافِهِ. وَلَا تَمَثَّلُهُ الْعْيُونُ. وَلَا تَخْلِطُهُ الظُّنُونُ.
وَلَا تَتَّصِرُهُ الْأَوْهَامُ. وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ. وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ.
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ. وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ. وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ. وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ. قَرِيبُهُ كَرَامَتُهُ. وَبَعْدُهُ إِهَانَتُهُ. عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ. وَجَمِيْعُهُ مِنْ
غَيْرِ تَنْقُلٍ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ.
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ. وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ.
وَيَا مُجْبِرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى. وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ. وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشِعَاعُ الشَّمْسِ. وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ. يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْمُتَكَلِّينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدْتَهُمْ وَعَابَيْتَهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ.
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ. وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوُوفٌ. إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْغُرْبَةَ

أَنَسِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ الْغُمُومُ جَلَّتْ إِلَيَّ الْأُسْتِجَارَةُ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرِيمةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَن قَضَائِكَ . فَأَقْلَبْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي عُمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ مَاوِي أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعَدَ الْمُنْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلَسِّنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ أَتْبَعَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبَدُّيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا مِئْمَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْتَعِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَأَلْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَأَرْزُقْنِي
 الشَّطَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْهَبْرِ وَالتَّقْوَى وَذِكْرَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْحَسَابَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّمَاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُحْتَجَبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَن نَوَاطِرِ خَلْفِهِ . يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالتَّجْبُرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَنْقَادَتِ

الْأُمُورُ بِأَزْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَلَمَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مُحِيبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْفِهِ . يَا مَنْ
 أَنَارَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ الشَّمْسَ
 الْمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْفِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ أَسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَابٍ نِعْمَةٍ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرَشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَأَسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرَشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي مَجَّيْتِ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شِعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعُظْمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي فَتَقْتَ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاطِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدَبِّرْتَ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِرَانَتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْأَفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُتَّ وَالْغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلْبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ
 لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ • يَا رَافِعَ السَّمَاءِ • يَا دَائِمَ البُقَاءِ • يَا وَاسِعَ العَطَاءِ •
 يَا عَالِمَ العُيُوبِ • يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ • يَا سَاتِرَ العُيُوبِ • يَا كَاشِفَ
 الكُرُوبِ • يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ • يَا مَخْرَجَ النَّبَاتِ • يَا جَامِعَ الشَّجَرَاتِ •
 يَا مُنْشِرَ الرِّقَاتِ • يَا فَالِقَ الصَّبَاحِ • يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ • فَجْرًا مَعَ
 الرِّوَاكِ • يَجْنِي فِي النُّوَاجِي • يَا هَادِي الرِّشَادِ • يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ •
 يَا رَازِقَ العِبَادِ • يَا مُجِيَّ البِلَادِ • يَا مُطَاقَ الأَسِيرِ • يَا قَاهِرَ الكَبِيرِ •
 يَا مُغْنِي الفَقِيرِ • يَا غَازِي الصِّغِيرِ • يَا مَالِكَ النُّوَاجِي • مِنْ طَاعِ
 وَعَاصِ • مَا عَنَّهُ مِنْ مَنَاصِ • لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصِ • أَجْرٍ مِنْ المُحْجِمِ •
 مِنْ هَوَاهَا العَظِيمِ • مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ • مِنْ حَرِّهَا المُتِيمِ • أَسْكِنِي
 الجَنَانَا • بَلِّغْنِي الأَمَانَا • فِي مَنزِلِ تَعَالَى • بِالحَقِّ قَدْ تَوَالَى • بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَا • أَلْقَى بِهِ الجَلَالَ (ديوان علي)

٦ قَالَ الأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غَلامًا يُجِدُّ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيعِ وَكَافِلًا رِزْقَ الجَمِيعِ سَحَابَ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسْنِعَ البِرِّ الجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّتْرِ الجَمِيلِ عَمِيمَ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الوَعْدِ الوَفِيِّ قَضَاءِ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتِكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ وَتَوْبَةُ العَاصِي بِجَمَلِكَ قَابِلُ
 رَبِّ يُرِي العَالَمِينَ بِرَبِّهِ وَنَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُقَصِّيه وَهُوَ يَسُوقُ تَحْوِكَ دَائِمًا
مُتَقَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَاأَلَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِيهِ الْفَرَجِ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مِنْ يَسْعَى إِلَى
وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
رَأْيِي يَلِمُ إِذَا عَرَّتَهُ مُلَمَّةٌ
عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيتُ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ
أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ أَبَى كُلُّ عَلَى
قَدًّا ثَقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَا قَدًّا أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَأَعْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقْهُ تَوْ
وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمْرِيُّ :

يَأْمَنُ تَحْمَلُ بِذِكْرِهِ
يَأْمَنُ إِلَيْهِ الْمُشْتَكِي
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا
عُقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَائِدِ
وَالِيَهُ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدِ
صَدَدًا تَزْرَهُ عَنِ مُضَادِّدِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُبْتَلِيَتْ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدٌ
 إِنَّ أَلْهُومَ جِيُوشَهَا قَدْ أَصَبَتْ قَلْبِي تَطَارِدُ
 فَرَجٌ بِجَوْلِكَ كُرْبَتِي يَأْمَنُ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدُ
 فَخْفِي لَطْفِكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدُ
 أَنْتَ الْمَيْسِرُ وَالْمُسَيْبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَيْبٌ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ وَرَاحِي فَلَقَدْ يَسْتَسْت مِنْ الْأَقْرَابِ وَالْأَبَاعِدُ
 وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتْنِي بِالْحَوَاسِدُ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَايِدُ
 وَعَنْ أَلْوَرَى كُنْ سَاتِرًا عَيْبِي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدُ
 يَا رَبِّ قَدْ صَاقَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدُ
 فَأَمْنٌ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَاسِدُ
 هُدِي يَدِي وَبِشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ
 فَلَكُمْ إِلَهِي قَدْ شَهِدُ تُ بِفَيْضِ لَطْفِكَ مِنْ عَوَائِدُ

حجة الله والثقة

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطِمٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عَفِيرَةَ الْعَابِدَةِ الضَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيَتْ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ أَلْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ عُفَيْرَةٌ قَوْلَهُ فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا

(لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَرِّلاً فِي حُبِّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبِئْتُمْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِتْ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَوْنِي أَصِحَّابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ يَصِفُ عَابِدًا:

مَا زَالَ يَحْتَمِرُ الدُّنْيَا بِهَمَّتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هَمُّهُ
رَثُ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرْتِ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمُهُ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ لِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمِ عَلَى صِرَاطِ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ:

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنْ الطِّيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَاءِ
هُوَ الطِّيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةِ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عَيْدًا إِلَيْكَ مَلْجَأَهُ
إِذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
 وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرَ مِنْ حَبِّهِ لِمَوْلَاهُ
 إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
 سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
 صَوْتِكَ تَشَاقُقُهُ مَلَائِكَةٌ فَذَنْبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْتَاهُ
 فِي جَنَّةِ الخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
 سَلْنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا ضَجْرٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠ أول مقامات الإنباه هو اليقظة من سنة الغفلة . ثم التوبة وهي
 الرجوع إلى الله بعد الإباق . ثم الورع والتقوى لكن ورع أهل
 الشريعة عن الحرمات وورع أهل الطريقة عن الشبهات . ثم المحاسة
 وهي تعداد ما صدر عن الإنسان بينه وبين نفسه وبينه وبين
 نوعه . ثم الإرادة وهي الرغبة في نيل المراد مع الكد . ثم الزهد وهو
 ترك الدنيا وحقيقته التبرع عن غير المولى . ثم الفقر وهو تخليص القلب
 عما حلت عنه اليد . والفقر من عرف أنه لا يقدر على شيء . ثم
 الصديق وهو استواء الظاهر والباطن . ثم التصبر وهو حمل النفس
 على المكروه . ثم الصبر وهو ترك الشكوى وقمع النفس . ثم الرضاء
 وهو التلذذ بالبلوى . ثم الإخلاص وهو إخراج الخلق عن معاملة
 الحق . ثم التوكل وهو الاعتماد في كل أمورهِ على الله سبحانه وتعالى
 مع العلم بأن خير فيما اختاره
 (لبها الدين العاقل)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عَمْرِنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِنَّا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْنَفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا عَرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقُطُ الْعَمَلُ .
أَعْيَى عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَعَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفَّتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتِ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
إِلَيْهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرْتَ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتَ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ .
أَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ بِجَاحِ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَرْدَدُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَأَحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا حَيْطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُنْظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَمِينٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَأَهُ

ضَعِيفٌ وَمَنْتَهُ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عَدَّتُهُ . وَخَلَقْتَ جَدَّتَهُ . وَتَمَّ ظُهُوهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طَوْلِ السَّيِّئَةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشْبِیحِ العُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخَّرِ
 الشَّدَايِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قَدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَعْمَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)
 ١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَعْطَفًا :

أَسِيرٌ أَخْطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفٌ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَرَّةً وَلَمْ يَبْنِهِ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ
 تَزِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
 تَطْلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلَمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفٌ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانَهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ يَرُوقُ خَوَاطِفُ
 وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمُرءِ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَأَلَّفُ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَانَ قَدْ أَذْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفٌ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ
 فَجَدَّ بِالْذُّمُوعِ الْحُمْرِ حَزْنَا وَحَسْرَةً قَدَمَعَكَ يُبْنِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفٌ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِيَا سَيِّرِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَأَيُّ لَادَعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فِإِنَّهَا
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْحَطِيبِ مُسْتَعْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يَتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يَرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنُ فَإِنَّ الْحَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَّا رُدَّتْ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ يُقْبَطَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغْبِ عَنْكَ عَيْبًا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نَشَرْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصْدُ ذُوو الْقُرْبَى وَيَجْنُو الْمَوَالِفُ
لَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَأَيُّ لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفَلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبِّمَا حَلَوْتُ بِنَفْسِي
 كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرُودَةِ عَنْ
 الْمَادِّيَّاتِ . وَحَلَمْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصَرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
 الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
 فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَمِثْنِيذِ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
 وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَنْيَقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ
 مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
 الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٌ . ثُمَّ تَرَقَيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
 الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصَرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
 فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
 الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
 عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَفْسِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرَفْتِي ذَلِكَ الشَّانُ
 وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
 عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَمِثْنِيذِ حَجَبَتِ الْفِكْرَةَ عَنِّي ذَلِكَ النُّورُ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
 كَيْفَ انْحَدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
 نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوسٍ حَيْثُ
 أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَاللِّجْتِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
 الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لبهء الدين)

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

فِي الْخَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَالْكَاهِنِ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يُجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فَكَأَنَّ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَنْفِيَاءُ كَانَتْهُمْ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ فَيَقُولُ : مَرَضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَالِسِ الزُّهْدِ إِنْ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مِثَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فَهِيَ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَقْتَرُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ . يَتَأَجُونَ ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَةِ فِي فَكَأَنَّ رِقَابِهِمْ

زهدي النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنْ النُّعْمَانَ بْنَ أُمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخُورَنَقَ وَالسِّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخُورَنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أَوْتِيَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسَّعَةِ وَنُقُوضِ

الْأَمْرَ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا
 أُوتِيتُ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَصْحَابُهُ: هَذَا الَّذِي أُوتِيتُ شَيْئًا
 لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ. قَالَ
 بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي. قَالَ:
 فَسُرِرْتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعْتُهُ. قَالَ: فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ.
 قَالَ: إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ
 تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفْرِمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ. قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ
 ذَلِكَ فَمَا لِي. قَالَ: حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ. وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ. وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ.
 وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى. قَالَ: فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَاللَّهُ لَا يُطْلِبُنَّ عَيْشًا
 لَا يَزُولُ أَبَدًا. فَأُخْلَعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ الْأَمْسَاحُ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ.
 وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ يُسَيِّجَانِ وَيَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا. وَفِيهِ
 يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْحَوْرَتِ إِذَا شَرَفَ يَوْمًا وَالْهَدَى تَفَكِيرُ
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالنَّجْمُ مَعْرُضًا وَالسَّيْدُ
 فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
 ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلَوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

رَوَى أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَّصِدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فَمَرَّ بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَفِّعٌ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُؤْمٌ وَجِيَادُ الْحَيْلِ تُجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمِنُوا دَهْرَهُمْ غَيْرَ وَجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرَّ بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ اأُخْبُو نَ عَلَى الْأَرْضِ اأُجِدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عَظْمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النِّجَاةَ . قَالَ : دَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ . قَالَ : وَفِي هَذَا النِّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَانْتَصَرَ حِينْدَ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَجْتِهَادِ
(للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَاهَا

١٩ (مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعِ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السِّبَاقَ وَالسُّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ . أَفَلَا تَأْتِي مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَمِلَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأَيْهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلَهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّعْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ خَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُرْتِمْتُمْ بِالظُّعْنِ وَذُلْتُمْ عَلَى
الرِّزَادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أُتْبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَاً

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا نَوْفُ
أَرَأَيْدِ أَنْتَ أُمَّ رَامِقٍ قُلْتُ: بَلِ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا نَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالِدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ

(لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وبينه مؤانسة . فقلت له : يا راهب لمن تعبد . فقال : أعبد الله الذي
 خلق العالم بقدرته . وألف نظامه بحكمته . وقد حوت عظمته كل
 شيء . لا تبلغ الألسن وصف قدرته . ولا العقول لح رحمته . له الشكر
 على ما نتقّب فيه من نعمته التي صحت بها الأبصار . وورعت بها
 الأسماع . ونطقت بها الألسن . وسكنت بها العروق . وأمترجت بها
 الطبايع . فقلت : يا راهب ما أفضل الحكمة . فقال : خوف الله . فقلت :
 وما أكمل العقل . قال : معرفة الإنسان بقدرته . قلت : ما يعين على
 التخلص من الدنيا . قال : أن تجعل بقية يومك انقضاء أملك .
 فقلت : وما حملك على أن عقلت على نفسك في هذه الصومعة .
 فقال : لأحس هذا السبع عن الناس (وأوما بيده إلى لسانه) . قلت :
 من أين تعيش . قال : من تدبير اللطيف الخبير الذي خلق الرّحى
 وهو يأتيها بالطحين . قلت : لم لا تنزل إلينا ونخالطنا . فقال : لأن
 الأشياء الموبقة بأسرها بينكم والسلامة من ذلك إنما تكون في
 الوحدة . قلت : وكيف صبرت على الوحدة . فقال : لو ذقت حلاوة
 الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك . قلت : كيف لبست السواد .
 فقال : لأن الدنيا دار ماتم وأهلها في حداد . وإذا حرنت لبست
 السواد . فقلت : كيف تذكر الموت . فقال : ما أظرف طرفة عين إلا
 ظننت أنني مت . قلت : ما لنا نحن نكره الموت . فقال : لأنكم
 عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم . فأنتم تكرهون النقلة من العمران

إِلَى الْخُرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلُغِ الْعِظَاتِ النَّظْرُ
 إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
 جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَتَسَنَّ مِنْ لَا يَنْسَاكَ
 وَأَحْسِنْ سِرِّيَّتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
 أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
 وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لَتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِسَبَاحِي أَوْ تُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
 مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحُسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذْمُ السُّيِّئَاتِ فَيُرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
 الْمُسْكَرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغَلُ
 بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُمُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ
 وَيَتَمَلَّبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهُ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
 وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
 شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 وَإِذَا أُعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
 تَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
 مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتَلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَخَجِّبْهُ . وَأَرْضِ لِلنَّاسِ
 مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
 وَقَالَ : إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَفْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
 صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا تِي مَلَكُوتِكَ . لَتَكُنْ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَأَثْمَانَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِلْسَّيِّئِ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجِدَّكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنِعْكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَشْتِغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِي قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ ائْتِنَا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُورُ بِهِ مِنْ
 مَلَكَوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُبْنِي لَكَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ وَالْقُدْرَةَ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَأَسْتَحْسَنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَأَنْصَرِفُ
 وَأَنَا مُعْجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ أُحْتَوِشْتَهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقَرَّسَهُ أَوْ يَأْهُوَ فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ مَخَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُعْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وُلِيَ وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنْ الظَّمَانُ يَقَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةَ الْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَوْوَقَةً بِرِمْدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْعَةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْوَقَةً الْهُوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُجُوبَةِ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلدَّرِّ مَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعِذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُخْفِضٌ ذَا مُنْجِزِمٌ
 لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُوجِدُوا لَا يَعْتَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
 أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَمٌّ
 (لهيئة الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمَتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِينِ عَجَبٌ
 وَأَعْجَبُ مِنْ هُدَيْنٍ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذِينِ أَخِيْبٍ
 ٢٤ قَالَ الْحَسَنُ : ابْنُ آدَمَ أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَاتِهَا بِمَا
 يَنْقُضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مَلِكِهَا بِمَا يَفْعُدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
 الْأَوْزَارَ وَلَا تَهْلِكُ الْأَمْوَالَ . فَاذَامَتْ سَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
 أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ الْأَمْوَالَ
 الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرَهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالَ
 مَلُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَأَسْتَحْكَمُ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْوَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ
 إِذَا أَخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَابِئُ
 فَكَمْ سَخَّنتِ الْأَمْسَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبٌ
 فَلَا تَكْتُمِلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لِلْهَوَى مُتَّبِعٌ
 قَتَانَةٌ تُخَدَعُ طَلَابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَخْدَعُ
 أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضِ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعُ
 ٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
 أَنْتُمْ خَلْفُ مَا ضَيْنَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
 سَطْوَةً . أَرْجَعُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَغَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقُ مَا كَانُوا بِهَا .
 فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبْلَ مِنْهُمْ بَدْلَ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نَفُوسَكُمْ
 بِزَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخَذُوا عَلَى فِجَاجَةٍ . فَقَدْ غَفَّاتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
 الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا . وَمَهْدُوا لَهَا قَبْلَ
 أَنْ تُعَذِّبُوا . وَتَرَوُّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقُ عَدْلٍ
 وَقَضَاءِ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْأَعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْأَنْذَارِ
 ٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَمَنْزِلُ قَلْعَةٍ وَعَنْاءٍ . قَدْ بُرِعَتْ مِنْهَا
 نَفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَأُتْرِعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعَدِ النَّاسَ
 فِيهَا أَرْغَبِهِمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبَهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ لِمَنْ اتَّصَحَّهَا
 وَالْمَغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَأَلْهَاكَ مِنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا
 رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
 إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُصْبِحُ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْهَمَّةٍ ظَلَمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَأْشُرُ فَيُخْشِرُ . إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَفْقَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَّتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ . أَوْ بِالَغَتْ لَغَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَهَمَّتْ هَمَّتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانٍ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثَتْ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِّ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّينِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْمَعُ الْظُّلُومُ
سَتَقَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أَنَاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطُ الصُّومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَ النُّجُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَتَحْبِرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدِ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
 تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَنَبَّهُ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
 لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ حُرَّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
 يَوْمِلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُونَ الْأَجَلِ
 يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ
 قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
 حَوَا مَالَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
 قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
 مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَصْحَلُ غَدًا
 قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
 مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلكِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
 ٢٥ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الخازن :

عَنْتُ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَاحَ الزَّاهِدِ الْقَطْنُ
 كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفْنُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كَلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٍ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرْتَنٍ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّ بِهِ وَسْنٍ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا أَلْهَمُ وَالْحَزْنَ
 وَأَشَدَّ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشْرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تَجْبِي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمْرًا وَجَلَلَهُ كِلَسًا فَلَطَّيْرٌ فِي ذِرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهْبَهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ :

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعِينَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُكُمْ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي لَطِيلُ
 الرَّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ . فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَالِقِهِمْ
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
 أَيْنَ الْوُجُوهِ الَّتِي كَانَتْ مَنَعَةً
 فَأَصْحَحَ الْقَبْرَ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
 وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا
 وَطَالَمَا شِيدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ
 أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَحَشَاءَ مُعْطَلَةٌ
 سَلَّ الْحَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مِنْتَهُ
 أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحَهَا
 أَيْنَ الْعَمِيدُ الْأَلَى أَرَصَلْتَهُمْ عُدَدًا
 أَيْنَ الْفُؤَارِسُ وَالْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةُ أَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
 أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا عَضِبُوا
 أَيْنَ الرُّمَاتُ أَمْ تُنْعَجُ بِأَسْمِهِمْ
 مَهْمِيَّاتٍ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 وَلَا الرُّشَى دَفَعْتَهَا صَاحٍ لَوْ بَدَلُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
 مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

فَأَوْدَعُوا حُفْرًا يَابِسًا مَا نَزَلُوا
 أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالْتِيْجَانُ وَالْحَلَلُ
 مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ
 تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَلُ
 فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَرْتَحَلُوا
 فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا
 وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
 أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
 تَوَّءَ الْعُصْبَةَ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
 أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْحَطِيطَةُ الذَّبَلُ
 لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
 أَيْنَ الْحُمَاةُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
 لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
 عَنْكَ الْمُنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
 وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
 بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَابِسًا مَا فَعَلُوا
 وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَغْشَاكَ مِنْ كَفَيْهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكُلُّهُمْ بِأَقْتِسَامِ أَمْوَالٍ قَدْ شَغَلُوا
 لَا تُشْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا أَنْخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرُوحَهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمَهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وتروى هذه القصيدة في ديوان علي بن أبي طالب)

حفظ للحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ
 مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَاصِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَهْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّارٍ مَا يَجِبُ عَلَى مُحِبِّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ
 وَشَوْقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يَطْلُبُ الْبَانُكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعِصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يُرَدُّ لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِّ تَطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَإِرَادَتُهُ تَتَّبِعُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَّقِبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاصِدُهُ

أَلْفَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهِيَ فِي الثَّقَلِ سِوَاهُ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجِدُّ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لُغْبَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْتَّقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلوُكُ الْمُسْجَعِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أُنْفٍ لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَدْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجِعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمَ مِنْ يَوْمِهِ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يَرْضَعُ ثَدْيَهُ وَيَجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُوْ وَيَمُرُ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يَسُرُ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَتَخَلَّهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدَرَهَا الشَّوَابُ . (وفي فضل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنٌ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبُلْبَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلَقُ أَعْنَةِ الظُّلْمِ . حَاسِبُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَاتِبَةُ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْقَطُوبُ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْمُجْتَنِي . قَابِضُ عَلَيَّ النَّفُوسِ

بِكُرْبَتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظَّفْرِ . لَيْمُ الظَّفْرِ . حُلُوُ المُوْرِدِ مَرُ المِصْدَرِ . آثَرُهُ عِنْدَ المَرْءِ كَأَثَرِ
السِّيفِ فِي الضَّرْبِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الفَرِيْسَةِ . (وَالسَّمْسُ المَعَالِي قَابُوسٍ) :
الدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مَفْصَلُهُ وَمَجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سَيْرَةً . أَرَادَ مِنَ الأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيْرَةٍ . وَمَنْ أُبْتِغِيَ مِنْهُ الرِّعَايَةُ . أُبْتِغِيَ مِنَ الغُولِ الهُدَايَةَ
(طَرَائِفُ الطَّائِفِ لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَاطَمًا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الحِرْصُ وَاحْتَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتْهَا نَعَمَ العُصُونُ وَلَكِنْ بِلِسْمَا الثَّمَرِ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فِجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتَ كَأَلْبَازِي المُنْتَفِ رِيْشُهُ يَرَى حَسْرَاتٍ كَمَا طَارَ طَائِرُ
يَرَى خُرْقَاتِ الجَوِّ يَجْرُقْنَ فِي الهَوَا فَيَذْكُرُ رِيْشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ الجَنَاحَيْنِ خَاسِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمُ الأَمُّ
بِعَجَابِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرِ تَلْتَطِمِ
وَالعَمْرُ يُسِيرُ مُسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقَرُّ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَّ ضَوْؤُهُ ظُلْمٌ
وَالنَّاسُ بِجُلْمِ جِهَاتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الأَحْلَمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعْمٌ قَسِمَتْ لَهُمْ نَعْمٌ
فَرِقُوا فَرِقًا فَرِقُوا فَرِقًا وَمَضُوا طَرَفًا لَا تَلْتَمِمْ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا
وَهَيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشَّمَا
يَكُونُ صَعُودُ المَرءِ فِيهِ هَبْوَطُهُ
شُرُوطُ الَّذِي يَرِقُّ إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
وَفَاءٌ بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ المَوْتَ

٣٤ قَالَ ابنُ المُعْتَرِ :

نَسِيرٌ إِلَى الأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ
نَمَّا أَقْبَحُ التَّفْرِيطِ فِي ذَمَنِ الصَّبَا
تَرَحَّلَ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنَ التَّقَى
وَأَيَّامَنَا تُطَوَى وَهِنَّ مَرَاجِلُ
إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرِّئَاسِ شَاعِلُ
فَعَمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو العَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ المَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّ
 كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمَرَّتْهَا هُنَاكَ بِمَا عَلَيَّا
 كَانَ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُعْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
 ذَكَرْنَ مِنِّي فَنَعَيْنَ نَفْسِي إِلَّا أَسْعِدَ أُخِيكَ يَا أُخِيَّا
 وَقَالَ ابْنُ عَبْدِرَبِّهِ :

أَتَلُّهُ بَيْنَ بَاطِيَةِ وَزِيرِ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَالِ عَلَى شَفِيرِ
 فَيَا مَنْ عَرَّهُ أَمَلُ طَوِيلِ يُودِيهِ إِلَى أَجَلِ قَصِيرِ
 أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
 هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
 سَتَسَلُّ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرُدُّ إِلَى الْمُعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لِحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَفْرِ التُّرَابِ فَوَسَدُوهُ
 وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَعَسَبُوهُ
 فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةٌ ثَالِثٌ أَنْكَرْتُمُوهُ
 وَلَوْ سَأَلْتُ نَوَاطِرُ مُقَلَّتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
 وَقَدْ نَادَى الْبَلِيَّ هَذَا فُلَانُ هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُونَهُ
 خَلِيلِكُمْ وَجَارِكُمُ الْمَفْدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَيْمُوهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَعْثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَبَّحُوهُ
 فِكْلُ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمَّجُ
 تَرَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا
 وَقَالَ آخِرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
 يُعْجِلُ تَخْلِيصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى
 وَيُدِينِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي
 فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا
 أَصْبَحَتْ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأَعْتَقَا
 عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يُعْشَقَا
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَزْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا
 يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا
 عَلَى الرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
 قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ
 أَنْكَرْتُ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
 وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلِ وَتُرَابِ
 أَكَلِ التُّرَابِ مُحَاسِنِي فَتَسِيتُكُمْ
 وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي
 ٣٦ وَقَالَ آخِرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِمَوْتٍ وَأَسْعِي
 قَدْ تَدِينْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُ
 إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
 أَنْتِ تَسْبِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهُو وَتَلْهِينُ وَالْمَنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لِأَمْرِي حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحُدِّ
لَا تُرَجَّ الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حُوفِهَا لَكَ وَرِدُّ

الثبوت إلى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنِ الْأَجْبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنِ التَّهْتِكِ وَالْمُهَيَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زَمَامِي
أَبْعَدُ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخُو سُكُونٍ يَلِيْقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرَّاحَ نَقْصُ بَعْدَ هَذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَدْرُ الْتِمَامِ
فَكَمْ أَجْرِي فِي مِيدَانِ لَهْوٍ خِيُولَ هَوَى وَكَمْ ضَرَبْتُ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَاسَ تَعْيِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِابْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ عَنِ الْإِنْتَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِّ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَاجْتِهَدِ
مَنْ يُطْعِ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعُصِهِ أَوْ الصَّيْرُ خَانَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهَجِهِ تَضَلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نَضْعِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاصِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجِدْ غِيبَ السُّقَى
 إِنْ السُّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحَجِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّرَّاعُ يَوْمًا يَخْصِدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبُرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ اللَّقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُقَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهُ
 فَأَمُوتُ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يَلْهِيكَ مُشْتَغِلُ
 تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَأَنْهَضُ إِلَى ذُرُورَةِ الْعُلِيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفَرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرُمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِ وَجَدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَحْجِ قَصْدِكَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى ثَمَلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مَنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرُقِيَ مَكَانًا دُونَهُ زَحَلُ
 بَقَاؤُهَا بَقَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بِحَرِّ الْأُمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمَرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمِّ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَهَلَّا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 فِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّعْيِ رَافِلُ
 فِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرْفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طُحُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَرَلْ أَبَدًا جُمُوحًا
 وَقَلْبَكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
 بِلَالِ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيِّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
 بِبَحْرِ الْأَيْمِ لَا تُصْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
 وَقَلْبَكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أُرْدِيَادِ
 عَلَى تَحْصِيلِ ذُنُوبِكَ الدَّيَّةِ مُجَدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشْيَةِ
 وَجَهْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدٌ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
 وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قَلَامَهُ
 ٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ:

تَرَلْ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفْرَقِي لِأَعَزُّ نَازِلُ
 وَبَكَتْ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بَ فَآهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
 بِاللَّهِ قُلِّ لِي يَا فَلَاحُ نُ وِلِي أَقُولُ وِلِي أُسَائِلُ
 أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتَ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
 هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
 قَدْ كُنْتَ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
 مَنِّتَ نَفْسَكَ بِاطِّالًا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
 قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ مَرَايِلُ
 صَيِّغَتْ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَنْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَائِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّامَاتِ دَاوُدَ الطَّائِي تُكَلِّمُ ابْنَ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعَشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَقْتُونِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحَبِّهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَّبَعْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشِنْتَ الْمُطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشِنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيْنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرِدُ فِيهَا مَاءُكَ . وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ وَعَدَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبُهُ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيْنُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدَتْ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
رَكَتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الإخوان هدية فلما أتت شهرك ربك بفضلك وألبسك رداء عمك .
فلو رأيت من حضرك علمت أن ربك قد أكرمك (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مختار من قول الحكماء عند وفاة الإسكندر لما جعل في تابوت
من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال : كان الملك يخبأ الذهب وقد
صار الآن الذهب يخبأه . وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين
وتملكها ثم جعل منها في أربع أذرع . (ووقف عليه آخر) فقال :
أنظر إلى حلم التائم كيف أنقضى إلى ظل النعام وقد أنجلي .
(ووقف عليه آخر) فقال : ما لك لا تفل عضوًا من أعضائك وقد
كنت تستقل ملك العباد . (وقال آخر) : ما لك لا ترغب بنفسك
عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن رطب البلاد (وقال آخر) :
أما هذا ألمت كثيرًا من الناس لئلا يموت وقد مات الآن . (وقال
آخر) : ما كان أفتج إفريقيا في التَّجْرِ أمس مع شدة خضوعك
اليوم . (قالت بنت دارا) : ما علمت أن غالب أبي يُغلب . (وقال رئيس
الطبَّاحين) : قد نصدت النَّصَانِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَأَسْتَأْرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ (القيرواني)

٤٤ قال ابن عبد ربه يرثي ولده يحيى :

وَكَيِّدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيْتٍ أَسْفًا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا
 وَتَوْرِي ظَلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
 مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
 يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ
 يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيتَ فِي الْعِنَانِ لَهُ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ
 وَآيَ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ
 يَا قَمْرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفِ بِهِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذْبُ لَهُ أَسْفًا
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَا
 يَا لَوْعَةَ لَا يَزَالُ لِأَعْمَجَاهَا

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكْنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ الشَّرُّورُ بِهِ
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْرَزْنَا
 يَا سَيِّدِي وَمِرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي
 وَلَا أُمَّتًا فَرَحًا إِلَّا أُمَّتًا حَزْنَا
 لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينِ وَالسُّنْنَا
 وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْرَزْنَا
 هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى مِيرَ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٌ وَيَلْبَسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفْنَا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مَعَارِضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمُنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَنْ عَمَرْتُ دُورًا يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمُقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَأَشْتَدَّ حَزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْبَرَ لَثَوَابِكَ . فَقَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حَنُوطَهُ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوكِ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيْتُ فَإِنَّمَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ يَتِيمِي أَخَاهُ :

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْحَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْفَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُجْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكَورَ :

أَيَا سَجْمِ الْحَابُورِ مَالِكِ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قِتْمَا وَسُيُوفِ
فَقَدَنَاهُ فَقَدَانُ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا قَدَيْتَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًّا فَإِنِّي أَرَى أَلَمَاتٍ وَقَفًّا بِكُلِّ شَرِيفِ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَدَّرَا
وَأَرْحَمَتَاهُ إِصَارَخَاتِ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجِهَهَا لَنْ تَسْتَرَا
مُلْتَقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدَ فِي الْحِرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْهَآوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرَّ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبِنَانِ نَقَطَتْ لَوَانَهَا أَتَّصَلَتْ لَكَاتُ الْبُحْرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
لِحَقِّ الْعُبَارِ جَيْبُهُ وَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالُ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ حَرٌّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقُ كَثِيرٌ

وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرَعْتَ كَأْسِ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَلْبَقْلَانِيَّ الْبِصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمَشِي الرَّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتِيدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ خَلِيلٍ
 وَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَحْيَى مَنِّي وَيُفْرِدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ يَتِي أَخَا أَسْمَهُ حَيْبُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحُ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفِي لَهُمْ مُتَخَشِعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَلِيُّ يَرِي أَبْنَاهُ لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ قَالَ أَبُو بَسَّامٍ يَرِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُتَمِّمَ :
 قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تَرَابَهُ فَلَطَامًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِبِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَالْأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
 كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
 غَرَسْتَهُ فِي بَسَاتِينِ الْبَيْتِ أَيْدِي الدُّهُورِ
 قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرِثِي أَخَاهُ مَالِكًا:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَكَاءِ
 فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
 رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
 لَقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَىٰ فَالِدَّ كَادِكِ
 فَضَلْتُ لَهُ إِنْ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
 فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
 قَالَ آخِرُ:

لِكُلِّ أَنَاثٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمُ
 وَمَا إِنْ يَزَالَ رَسْمٌ دَارَ قَدْ أَخْلَقْتَ
 فَهُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارَهُمْ
 ٥٠ قَالَ الْعَطَّاشُ الضَّبِّيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي
 أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحَمَامِ أَصَابَكُمْ
 أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءَ تَذْهَبُ
 عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
 قَالَ آخِرُ:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
 أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فِدَتْ نَفْسَ مَيْتٍ
 إِلَيْكَ وَمَا تَرْدَادُ إِلَّا تَنَائِبًا
 فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِصْبَةً
 فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
 أَلَا فَلَيْتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
 عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا	أَسِيرٌ تَقِيفٌ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمْ السُّجْنَ خَالِدًا	وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَأَةً الْمُتَقَابِلِ
لَقَدْ كَانَ بَيْنِي الْمَكْرَمَاتِ لِقَوْمِهِ	وَيُعْطِي اللَّهُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا أَسْمَهُ	وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَعُضَيْنٍ فِي جُرُثْمَةٍ سَمَقَا	حِينًا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَاطَتْ فُرُوعُهُمَا	وَطَابَ فِيهَا وَأَسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَيَّ وَاحِدِي رَبِيبُ الزَّمَانِ وَمَا	يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذُرُ
كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ	يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ

٥٢ وَقَالَ التَّمِيمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلْهَفَةً مِنْ خَائِفٍ	يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مَجِيرٌ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ	بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورٌ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابَهُ	فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورٌ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُولِهِ	خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ
رَدَّتْ صِنَاعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ	فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرَهَا مَشْهُورٌ
فَالنَّاسُ مَا مَثَمَهُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ	فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرٌ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَدْرَعٍ فِي خَمْسَةِ	فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ

(الحماسة لابن تميم)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٥٣ قِيلَ: لَا تَسْتَصِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ. لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرَ. وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ. وَقِيلَ: الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِقُ رُبَّمَا اشْتَدَّ. كَالغَضَنِ النَّضْرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا. وَقِيلَ: لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ. فَالرُّمْحُ قَدْ يَقْتُلُ بِهِ وَإِنَّ عَدِيمَ السِّنَانِ وَالرَّجْحِ. قَالَ الْمُوسَوِيُّ:

الْفَيْلُ يَضْجُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرِيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ: مَا الْكُفْرُ. فَقَالَ:
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ. فَقَالَ: مَا الرِّضَاءُ. فَقَالَ: الْفُتُوخُ
يُعْطَى اللَّهُ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُكَارَاةِ. فَقَالَ: مَا الصَّبْرُ. فَقَالَ:
كَطْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ. فَقَالَ: مَا الْحِلْمُ. فَقَالَ: إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ. فَقَالَ: مَا الْكِرْمُ. فَقَالَ:
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ. فَقَالَ: مَا الْحِمِيَّةُ. فَقَالَ: الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ. فَقَالَ: مَا السَّبَّحَاةُ. فَقَالَ: الْحَمَلَةُ فِي وُجُوهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ. وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ. وَإِرْضَاءُ الرَّجَالِ.
قَالَ: مَا الْعَدْلُ. قَالَ: تَرْكُ الْمُرَادِ. وَصِحَّةُ السَّيْرَةِ وَالْإِعْتِقَادِ. فَقَالَ:

مَا الْأَنْصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
 الذُّلُّ. قَالَ: الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوعِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارِ مِنْ قَلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
 مَا الْحِرْصُ. قَالَ: حَدَثُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
 قَضَاءُ الْوَأَجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ. قَالَ: التَّرَاخِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
 مَا الْقَهْمُ. قَالَ: التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)
 ٥٥ (فَائِدَةٌ جَامِعَةٌ وَلَمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
 إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ. يَغْفِرُ زَلَّتْهُ. وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيُقْبِلُ
 عَثْرَتَهُ. وَيُقْبِلُ مَعْذِرَتَهُ. وَيُرْدُّ غَيْبَتَهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ. وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ.
 وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرَضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيُقْبِلُ
 هَدْيَتَهُ. وَيُكَافِي صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
 حَرَمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيُقْبِلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصِدَهُ. وَيُسَمِّتُ
 عَطْسَتَهُ. وَيُرْسِدُ ضَالَّتَهُ. وَيُرْدُّ سَلَامَتَهُ. وَيَطِيبُ كَلَامَتَهُ. وَيُبْرِئُ أِنْعَامَتَهُ.
 وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَتَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
 وِفَاءِ حَقِّهِ. وَيُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَسْتَمِتُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ
 الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. فَلَا يَتْرُكُ
 وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)
 ٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانٌ وَلَا نَمَامٌ. وَلَا
 مُنْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يُطَلَبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلًا .
 وَلَا يَجْبُلُ بِنَائِلًا . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ . مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمُوْتَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِشْرَتِهِ . لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ :) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّلَعَةِ . (أَفْرِدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَحَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِروَانُ) الْمَلِكُ إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحًا يَبْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرُويزُ) أَطْعَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَكَ مِنْ دُونِكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَهْلُفٍ وَتَتَدَمُّ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا تَدْبَرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَسْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُهْمَلِ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا يُغْدَوَةٌ وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا ظَفِرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآحَقٌ وَقَاجِرٌ .
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سِئِلَ
أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى .
وَأَمَّا الْأَحَقُّ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ . وَإِنْ أَسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
نَزَلَ . فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَسِيحِ حَمَلَ . وَأَمَّا الْقَاجِرُ فَإِنْ أُتِمَّتْهُ خَانَكَ . وَإِنْ
حَدَّثْتَهُ شَانَكَ . وَإِنْ وَثَقْتَ بِهِ لَمْ يَرَعَكَ . وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمُ .
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ . وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فِئَهُ لَمْ يَفِئَهُ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلاَحٌ مُلْكِكَ وَأَسْتِقَامَةٌ رَعِيَّتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ :
لَا تَعْدُ عِدَّةً لَا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِتْجَارِهَا . وَلَا يَغُرَّنَكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَعَرَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَعْتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاثٍ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيِّ وَفِي يَدِهِ لُحْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْغِ لُحْمَتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ

(للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءُ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةٌ أَشْيَاءُ دِرْيَاقُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلٌ وَالزُّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
سُمُّ قَاتِلٌ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلِكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ
الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ
الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهُمُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأَفْكَارِ
الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بُرْزُجْمَهْرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ (قَالَ) : نَصِيحِي
النُّصْحَاءُ وَوَعظِي الْوَعَاظُ شَفَقَةٌ وَنَصِيحَةٌ وَتَأْدِيبٌ فَلَمْ يَعِظْنِي أَحَدٌ مِثْلَ
شَيْبِي وَلَا تَصَحَّحِي مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَصَضْتُ نُبُورَ الشَّمْسِ وَضَوْءَ
الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مَنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكْتُ الْأَحْرَارَ
وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
فَلَمْ أَرَأَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهَلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مِنْ
أَخْلَقَ كُلَّهُمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا .
وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّ الضَّيْقَ فَلَمْ يَزْحَمْنِي
مِثْلَ الْخَلْقِ السُّوءِ . وَوَقَعْتُ مِنْ أَعْبَدِ الْبَعْدِ وَأَطْوَلِ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي
شَيْءٍ أَضُرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ
فَلَمْ أَرَأَ نَارًا أَرَعَى عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَابَتْنِي الطُّلَابُ فَلَمْ

يُدْرِكُنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَلَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوِحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْجَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانِ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَاجَلْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذِّئَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَعَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السُّوءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلْذَمَ
الْعَافِيَةَ وَالْأَمْنَ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمَرَّ مِنْ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجِيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرْنًا غَلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَاجَلْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنُّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . عَمَّيْتُ السَّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَثَاقِ وَضَرَبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النِّعَمُ وَالْمَهْمُ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَّيْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّابَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكُرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
 مَقَاسَةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشِدَّتِ الْبُيَانِ لِأَعِزِّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرَفًا
 أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَبِستُ الْكُسَى الْفَاخِرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
 مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
 مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَحَلِّ
 الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قَمَابِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي اتَّقِ عَثْرَاتِ
 الزَّمَانِ وَأَخْشِ تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَةَ الْأَدْهَرِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
 جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ وَاللَّيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَقَلِّبٌ
 مُتَوَلِّ فَاحْذَرِ تَقَلُّبَهُ . لَيْمُ الْكُرَّةِ فَخَفِ سَطْوَتَهُ . سَرِيعِ الْغَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنُ
 دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ الْآثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
 فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَدْلَّ حَوَاسَهُ
 وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
 يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
 يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
 وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
 الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
 عَدُوِّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ لِيُشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
 الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ صُورِ مَجِبَلَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقَوِيَّةُ الْحَذَرَةَ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْآخَرَى فَاقَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقِرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسُ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمَكُنُ الْقَانِصَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ الصِّمَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرِّيحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِثِمَّةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطْرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرَفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِلٍّ . وَيَعْمُرُ كُلًّا مِنْ مَا بِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حَقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَاحِدَةً فِعْلَهَا نِدَاؤَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةَ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِدِ حَتَّى لَا يَفُوتُهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

(وَكَا لَقَمْرٍ إِذَا أُسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ بِضَوْوِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِيَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْيَاسِهِ رِعِيَتُهُ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدَلِهِ . (وَكَا لِنَارٍ) عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لِأَرْضٍ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَابَةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لِينِهِ لِمَنْ لَا يَنَّهُ . وَهَدْمِهِ وَأَقْتِلَاعِهِ عَظِيمِ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ

(للطرطوشي)

اشعار حكيمه

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاه :

السَّيْلُ يَفْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْبَجْرِ تَنْظُرُهُ قَدْ أَضْمَحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثْرُ

وَقَالَ أَيضًا :

وَالسَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرْتَهُ حَمْدًا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا أَوْرَى قِبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبْدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِتْمَادِهَا أَبَدًا

وَقَالَ أَيضًا :

أَرَى النَّاسَ يُؤْلُونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيُلَوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهِهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَلَاقِيَ بِإِكْبَارِ
بُنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُجِيبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعًا
غَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعًا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَنِيمًا زُرْعًا
فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرْعًا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ مَاهَانَ الْخَزَاعِيُّ :

إِقْضِ الْخَوَاصِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَى
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارْجُ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْخَوَاصِجَ

٦٦ قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَاصِجُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاحِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخَلْقِ
وَاجْتَرِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا
مَعْقُودَةً لِلْسَّامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هَمَّتِي جِدَّتِي
وَكَانَ مَا لِي لَا يَتَّوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يَلِزُّنِي
عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمُنْهَلِ الرَّبِقِ
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّجَا
أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ الْحِجَا
كَمْ مِنْ قَتِي قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ
أَلْفَيْتَهُ بِسِيَّامِ الرِّزْقِ قَدْ فَجَا
إِنْ الْأُمُورُ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا أُرْتَبَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ
وَمُدْمِنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
قَدَّرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخُطْوِ مَوْضِعَهَا
فَمَنْ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةِ زَلْجَا
وَلَا يُفِرَّنَكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
فَرُبَّمَا كَانَ بِاللِّكْدِيرِ مُمْتَرَجًا
٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمِكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْرَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الْفَلَائِكِ بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبٌ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِيُّ فِي فَضْلِ الْإِتِّحَادِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحٌ
 وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا فَيَهْضُرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحٌ
 قَالَ آخَرُهُ :

مَا مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ :

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعْظُ وَمُؤَدِّبُ فَافْهَمُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَأَدِّبُ
 وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ يَغْدُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَغْطُبُ
 أَبِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتَقَى إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهَهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيئَةٍ وَالْمَالَ عَارِيَةً تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفَتِ نَاطِرٍ سَبِيًّا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسْتَبُ
 وَمَنْ أَسْئَلِ السُّؤْلِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرَ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
 أَبِيَّ إِنَّ الدِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ أَلْدِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَأَعْبُدُ إِلَهَكَ ذَا الْعَجَاجِ مُخْلِصًا
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
 يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ
 إِلَيَّ أَبُو بَعْرُوتٍ وَخَطِيبِي
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
 فَاسْأَلِ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
 وَأَجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
 بَادِرٌ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلضَّعِيفِ وَكُنْ لَهُ
 وَالضَّعِيفِ فَأَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
 وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
 وَأَطْلَبَهُمْ طَلَبَ الْعَرِيفِ شِفَاءَهُ
 يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
 وَأَحْذَرِ ذَوِي الْمَلَقِ اللَّتَامِ فَإِنَّهُمْ
 يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
 وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 ٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِإِذْنِ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
 فَلَا تَضَعَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مَهْدَبًا
 وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
 عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكَفَّ الْأَذَى وَأَحْفَظَ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ فَدَيْتَكَ مِنْ وَدِّ الْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
 وَنَافِسْ بِبَدَلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى بِهَيْمَةِ مَحْمُودِ الْخَلَانِقِ مَا جِدْ
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَصْنُكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
 وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاهِدِ
 وَغَضَّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ أَذَى الْجَارِ وَأَسْتَسْكِبْ بِجَبَلِ الْمَعَاهِدِ
 وَلَا تَبِنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُوَمَّلٍ حُلُودًا فَمَا حَيَّ عَلَيْهَا بِعَالِدِ
 وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدُهُ فَتَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ
 ٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرُودًا فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُودِعُ
 وَأَهْمَمَ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ أَنْأَى مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْغَعُ
 وَاجْعَلْ تَرُودَكَ الْمَخَافَةَ وَالْتَقَى فَلَعَلَّ حَقِّكَ فِي مَسَانِكَ أَسْرَعُ
 وَأَنْفَعُ بِقُوتِكَ فَالْقِتَاعُ هُوَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَنْفَعُ
 وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّيَامِ فَإِنَّهُمْ مَنَعُوكَ صَفْرَ وِدَادِهِمْ وَتَصَنَعُوا
 أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أَنْتَهُمُ الرِّضَا وَإِذَا مَنَعَتْ فَسْتُهُمْ لَكَ مُنْفَعُ
 لَا تُنْفَسِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي يُفِيهِ إِلَيْكَ سَرَائِرًا يُسْتَوَدَعُ
 فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَخَالَةَ يَضَعُ
 لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْغَعُ
 فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى وَلَعَلَّهُ خَرَقَ سَفِيهُ أَرْقَعُ
 وَدَعِ الْمُزَاحَ قُرْبَ لَفْظَةِ مَا زَحِ جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحَفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْأَسَاءَةِ عَثْرَةً
وَإِذَا أُوتِمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَأَطِيعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِّ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرِينَ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَوَوِّنٍ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْأَخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارْبَابُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَزِنَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرَّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْحَطُوبُ تُتْرَقُ
مَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
بِيَدِي عُمُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَحِلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَلْفِينِكَ نَأْوِيًا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعُرُوسَ مُبَهْتًا
 وَإِذَا أَمْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدُ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَا
 أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالًا غَيْرَ آكِلِهِ
 وَيَقْطَعُ الثُّوبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصَلَ حِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَفْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرَكَهُ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
 إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
 قَدَمَاتٍ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرُ يَغْرَقُ
 بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
 أَهْلَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
 هَذَا عَلَيْهِ مُوسَعٌ وَمُضِيقٌ
 وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَاحٍ يَتَرَقُّ
 وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
 تَرَكَتَهُ حِينَ يَجْرُ حَبْلٌ يَفْرَقُ
 وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

أَلْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ
وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ .
فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ
مِنَ السُّؤَالِ زُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمُضَرَّةٍ نَفْسِهِ .
الْعَدِيمُ مِنْ أَحْتَاكِ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَقْدَ خَيْرٍ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ
تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السَّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ .
رُبَّ عَتَقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ
دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ
فَلَيْسَتَعِدَّ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . عَثُكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ
غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَاوِرِ الْبَحْرِ
لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ
السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَهْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ
قَرَأِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ
نَفْسَهُ . أَذَلَّ قَلْبَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجُدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ (لِلطَّرطُوشِيِّ)

نبد من كلام الزخشي والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَيَتَوَقَّعُ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبُ الشَّمَّ
 أَتَكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
 الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
 اللَّطْفُ رُشُوعَةٌ مِنْ لَا رُشُوعَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ يِعَهُ . وَمَنْ
 يُنْخَسِرُهُ . أَدْوِيَةَ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَتَسِيهُمَا لِأَيْفِي بِسُؤْمِهَا .
 مَنْ زَرَعَ الْإِخْنَ . حَصَدَ الْخِنْ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
 بَعِيدَ السَّوْطِ . شِعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَا . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَأُ . أَعْمَالُكَ
 نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُنْضِجْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
 بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمُرِهِ كِفَايَتِهِ .
 وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَايَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبَسْتَ
 الْوَرْعَ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتِ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
 خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
 مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبَّمَا كَانَ حَتْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
 يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
 وَالْأَحْشَاءِ وَالْحَشْرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجَبِنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غَرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عَقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجَبِنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حِيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذِبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعْرُ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعْرُ مِنَ الْأَبْلِقِ الْعُقُوقِ . (الصَّافِرُ
الضَّعِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعَوْدُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْفَاخِتَةُ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثْلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رَجَلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسُّ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ . وَأَخْفُ مِنْ رِيَشِ الْحَوَاصِلِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشِعْرَاءِ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْعَيْبِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَهْصِدُ إِلَى الْأَبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبَكَ كُلَّ مَا
 إِنْ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَا وَبِي عَطَشٌ شَدِيدُ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصَفِّيَ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُرَى بِقَدْرِهِ
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدَّ الْخُلُقَ
 تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَكَلْتُ لَهَا
 تَرَقَّبْ جِزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 أَخِيرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا
 ذَكَرْتُ لِقَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتَهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْتَمُ مِنْ قَدْحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضِ
 سَبْكَنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لِحِينًا
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عَفَى الْقَتَى
 غُلَامٌ آتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 يُسَوِّدُكَ أَبْعَدَتِ الدَّوَاءُ عَنِ السُّمِّ
 فَقَسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمَنْ قَبْلَ أَنْ تُصَفِّيَ لَهُ الْوُدَّ أَعْضِبُهُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
 وَصَدَّقَ مَا يَتَّعَدُهُ مِنْ تَوَهُمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذُّبَّ وَالضَّبْعَا
 وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تَسِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ غَدَا أَقَوْمَ مِنْ قَدْحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَفَلُهُ التَّذْكَيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمَّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوِعُنِي
 فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى
 فَالِدْرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حُسْنَ بَرَّتِهِ
 لَا تَرَجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَعْرَنُكَ هَذِهِ الْأُوجُهُ الْعُرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْمُجْدَرُطِبَا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا لِقَوِي عَنِ ضَعِيفٍ غِنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى سُودَ أَنْعَابٍ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْحَمْدُ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّبُ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضِدِ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفَى لَا نَوَاتِينِي
 فَمَا كُلُّ مَضْفُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قَيْمَتُهُ هَوَانُ الْفَائِضِ
 فَمَا أُحْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةَ الْكُفْنِ
 فَالغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ
 فَيَارِبَ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَا
 حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلرَّبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثُّعْلَبُ
 وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَجَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبِ
 تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِرْمَ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ
 وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
 وَمَا نِيَّ أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجِدْعَ مُعْرِضًا
 وَمَا أَفْبَحَ التَّنْفِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَتَشْتَتُ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُؤُولُ إِلَى بِلَى
 وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا
 وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
 وَمِثْلُ الشُّكْرِ جَنَّةُ غَارِسٍ
 وَيِ السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
 وَنَارٌ إِنْ تَفَخَّتْ بِهَا أَضَاءَتْ
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
 وَيُمْكِنُ وَضْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
 وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
 وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
 وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعِدَاوَةِ كَفَّهُ
 يَهْوَى الشَّاءَ مَبْرُزٌ وَمَقْصَرٌ
 يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
 لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
 ذُخْرًا يَكُونُ كَهَالِحِ الْأَعْمَالِ
 يَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
 فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلٌ
 سَبَبُ لَجْمِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
 تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
 وَلَوْ قَدِصَفْتَ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
 وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لَا بَسِ
 وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
 كَمَا خَطَفِي الْقِرطَاسُ سَطْرًا عَلَى سَطْرٍ
 وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عَقْدَةُ الرِّبَطِ
 كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
 كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
 بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
 حُبُّ الشَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ السَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ باز وديك تناظراً . فقال البازي للديك : ما أعرف أقل وفاءً منك لأصحابك . قال : وكيف . قال : تؤخذ بيضة وتخصنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأيديهم . حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت من هنا إلى هنا وصحت . وعلوت على حائط دار كنت فيها سنين فطرت منها إلى غيرها . وأما أنا فأخذت من الجبال وقد كبر سني فتخط عيني . وأطعمت الشيء اليسير وأسهد فأمنع من النوم وأسى اليوم واليومين . ثم أطلق على الصيد وحدي فأطير إليه وأخذه وأجني به إلى صاحبي . فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة أما لورأت بازيين في سفود النار ما عدت إليهم . وأنا في كل وقت أرى السفايد مملوءة ديوكا . فلا تكن حليماً عند غضب غيرك

(لهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حكى أنه أختم برغوث وبعوضة . فقالت البعوضة للبرغوث : إني لأعجب من حالي وحالك . أنا أفصح منك لساناً . وأوضح بياناً . وأرجح ميزاناً . وأكبر شأناً . وأكثر طيراناً . ومع هذا فقد أضربني

الْجُوعُ . وَحَرَمِي الْجُوعِ . وَلَا أزالُ عَلِيَّةً مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتِ تَأْكُلِ وَتَشْبَعُ . وَيِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْعُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنِطَةٌ . وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ مَدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُوتِي

اللَّبُوءَةُ وَالغَزَالُ وَالقَرْدُ

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبُوءَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَايَةِ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقَرْدٌ قَدْ
أَلْفَتْ جَوَارِهَا وَأَسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبُوءَةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ سُغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَتَّبِعِي قُوَّتًا
لِشِبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهَمُّ يَلْعَبُونَ بِيَابِ حُجْرِهِمْ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقتِنَاصِ
وَاحِدٍ أَجْمَلَهُ قُوَّتِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ نَائِيًا مَعَ مَا تَجِدُهُ فِي
نَفْسِهَا مِنَ الْقُوَّةِ . وَأَكَّدَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَأَسْتِلامُهُ لِأَمْرِ اللَّبُوءَةِ .
فَأَخَذَتْ ظِيًّا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ الْقَرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلَعُ عَنْ هَذَا وَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْحَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ أَخَذَتْ ظِيًّا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاها وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ الْبُغْيِ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَفْتِنَا صِي لِأَوْلَادِ
الْغَزَالِ . إِلَّا كَأَفْتِنَا صِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوْتِي وَقَدْ
سَاقَهُ الْقَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : هَكَذَا أُغْتَرَّ الْقَيْلُ بِعَظِيمِ
جُبْتِهِ . وَوَفُورِ قُوْتِهِ فَجَثَّ عَنْ حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبُغْيُ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتْ اللُّبُؤَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقَرْدُ : ذَكَرُوا أَنَّ قَدْبِرَةً
كَانَ لَهَا عَشُّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فَيْلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشِّ الْقَدْبِرَةِ .
فَقَبِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعَشِّ وَوَوَّطَهُ وَهَشَّمَ
رُكْنَهُ . وَأَتْلَفَ الْبَيْضَ وَأَهْلَكَ الْفِرَاحَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقَدْبِرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَاكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْقَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عُشِّي
وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي فِي جَوَارِكِ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْقَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ .
فَأَنْصَرَفَتِ الْقَدْبِرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَسَكَتَ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْقَيْلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْعَقَاقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِي إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
عَيْنِي . فَإِنَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْقَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَحَادَّبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَقْرُونَ عَلَيْهِ إِلَى
أَنْ فَتَقَوْهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . فَقَالَتْ
الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتْ مَعَ الْفِيلِ وَلَسْنَا أَكْفَاءُهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مَنْكَنْ أَنْ تَذْهَبِينَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْفَنَ
تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشْكَنَّ أَنْ يَهَامَ فَيْكِبُ نَفْسَهُ فِيهَا .
فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحُقْرَةِ
تَوَهَّم أَنْ يَهَامَ . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبَأً عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تَرْفُفٌ عَلَى
رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَقْوَتُهُ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جِسْمِي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
عَاقِبَةَ الْبَغِيِّ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالِمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْفِيلُ مَسَاكًا لِجَوَابِهَا .
وَلَا طَرِيقًا لِخَطْبِهَا . فَلَمَّا أَنْتَهَى الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤَةِ مِنْ
الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْتَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ اتَّقَمَلَ
بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَبْتغِي لَهُمْ مَجْرًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبُؤَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ اللَّبُؤَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا
مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فُظِيعًا . فَأَمْتَلَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
وَمَا دَهَالِكِ . فَقَالَتِ اللَّبُؤَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
لَهَا : لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانِهِ .
 وَمَنْ بَدَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَبِقَدْرِ بَذَرِهِ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
 مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سَهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِعِي مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ لَا
 أَجْزِعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزُهَّةُ الْفِكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
 لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : أَيُّهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغَدِّدُكَ
 وَيُعَشِّيكِ . قَالَتْ : لُحُومَ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقَرْدُ : أَمَا كَانَ لِكَانِ
 الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْقَرْدُ :
 فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِأَوْلِيكَ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَضُرَاخًا كَمَا نَسْمَعُ
 مِنْكَ وَلَقَدْ أَنْزَلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
 وَقَدْ تَصَحَّحْتِكِ حِينَ حَقَرْتِ حَقَّ الْجَوَارِ . وَأَلْحَقْتِ بِنَفْسِكَ الْعَارَ .
 وَجَاوَزْتِ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْأَنْصَافِ . وَسَطَوْتِ عَلَى الطُّبَّاءِ الضَّعَافِ .
 فَكَيْفَ وَجَدْتِ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصِّدِّيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : وَجَدْتُهُ
 مَرًّا الْمَذَاقِ . وَمَا عَلِمْتُ اللَّبْوَةَ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
 الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
 بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْفَلَوَاتِ (بستان الأذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلٌ مِنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
 ٨٢ حِكْمِي أَنَّ سَاعَةَ قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مَدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يَكْدِرُهُ . غَيْرَ
 أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَّتْ عَنْ الْحُرْكََةِ قَبْلَ
 أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْمَحَلِّ . فَتَغْيِيرُ مَنْظَرٍ وَجْهًا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهْشِ .
 وَبَذَلَتِ الْعُقَابُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
 وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيمَةَ الْحُرْكََةِ لِمَا شَمِلَهَا مِنَ التَّعْجِبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
 وَاقِفًا لَا يُبَدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا
 وَطَفِقَ الْوَجْهُ يَبْحُثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
 وَالْعُقَابُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتِ خَفِيِّ سُمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
 بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَعُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
 عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبٌ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِفْتَاعِكُمْ
 أَجْمَعِينَ . وَاحْتَقَّ أَقُولُ إِنِّي مَلَّتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّاعَةُ
 مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
 تَبَّا لَكَ مِنْ سِلْكِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
 الْوَجْهُ : لِأَجْرَمِ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدِّدَا فَعَتَّ عَنْ نَفْسِكَ
 كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَكَ كَسَلًا
 وَتَنْسِبَهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
 يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
 بِرُؤْيَا مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْبَعِ . وَوَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
 مُظْلَمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ مِحْيٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوْلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ
 مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَكَيْفَهَا مُظْلَمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي
 طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَاسَرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
 طَرَفَةَ عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَأْتُ هَذِهِ الْحَالَ . وَإِنْ أُسْتَرَدَّتْ بِي شَرْحًا .
 فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصُّجْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
 صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأُرُوحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ
 وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمْكِنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
 أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقَ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَائِقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ
 بَدِيهًا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
 الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعًا مِائَةً مَرَّةً . فَقَالَ
 الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ
 أَنْ مَجْرَدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى
 أَيِّ حِينٍ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَائِقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
 وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنُ عَظْمِي وَعِزِّي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
 وَبَعْدَ تَحْيَلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَأَدَ الْوَجْهُ
 فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمُكَامَلَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
 بِجَلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَفِي تَعْجِبٍ عَظِيمٍ مِنْ
 أَنْتِقَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسَاوِسِ بَعْتَهُ . نَعَمْ
 إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَلِمْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنْ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحَدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَالْتَمَسْتُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِيَتَّصِحَّ مِصْدَاقُ مَا قُلْتُ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حِينَئِذٍ : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَالِي وَتَضَجُّرِي لَمْ يَتَشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَن سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَن
 الْأُوفِ وَالْوَفِ الْأُوفِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يَبْغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ تُفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِلِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . وَأَمَّا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لِأَخِيرِ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْسَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجْلِ
 لِإِتْمَامِهِ . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالِكٌ فِيَّ وَأَمَالِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثْقَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِفْظَةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفِقَتْ الْعُقَارِبُ تُسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبُخِ الْمُعْلَقِ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أُمَّتَلَأَ الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْيِيسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَلَمَّا صَاحَبَ الْمَنْزِلَ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبُخِ لِيَفْطُرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةَ الَّتِي بِجَيْبِي تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قرَدٌ وَغَيْلِمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قَرْدًا يُقَالُ لَهُ مَا هَرُّ كَانَ مَلِكُ الْقَرَدَةِ وَكَانَ قَدٌ كَبِيرٌ وَهَرَمٌ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قَرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً تَيْنٍ فَأَرْتَقَى إِلَيْهَا وَأَخَذَ هَالَهُ مُقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تَيْنَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِقَاعًا . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَاطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ التَّيْنِ فِيهِ . وَكَانَ ثُمَّ غَيْلِمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تَيْنَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقَرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَعَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلِمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَحَجَزَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ فَأَعْتَلَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوَّجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ قَرْدًا وَالْقَرْدُ هُوَ مَوْأَكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلِمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا : مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا الْأَطْبَاءُ قَلْبَ قَرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قَرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْغَيْلِمُ : مَا ثَبَطَنِي عَنكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
 فَأَنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ . فَأَرْكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَتَوَلَّى فَأَمْتَطَى مَطَا الْغَيْلِمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فُجٌّ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْعَدْرِ فَنَكَسَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَمَمًّا . فَقَالَ الْغَيْلِمُ : إِنَّمَا هَمِّي
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِينَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أُبَلِّغَكَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 اعْتَمَدُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى كِرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغَيْلِمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسُ الْغَيْلِمَ وَبَطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَن مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لِأَشْيَاءَ أَخْفَى
 وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَدْبِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَنْفُلَ عَنِ التَّمَاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لِحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَبْلَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفُظِ مِنْهُ وَيَتَّقِدْ
 ذَلِكَ فِي لِحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلِمِ : مَا الَّذِي

يَحْسِبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 أَلْتَمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلِمُ : صَدَقْتُ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَ تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْفَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ أُحْتِجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 التَّمَسُّسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلِمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَعْلَمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْمَلَ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سَنَةٌ فِينَا مَعَاشِرُ الْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلِمُ : وَإِنَّ قَلْبَكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلِمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَأَرْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلِمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَجْمَلَ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَقَبْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هَيْهَاتَ
 وَلِكِنَّكَ أَحْتَلَّ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَاسْتَدْرَكْتُ

فَارِطًا أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
 الْعَلِيمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
 ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخْلُصُ مِنْهَا .
 كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
 مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضعم والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فَيْتَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا ضَبْعًا فَفَنَرَتْ
 وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا . فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُوبًا .
 فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
 فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
 اللَّبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَعَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَيَنِمُّ هُوَ ذَاتَ
 يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَّتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرَبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ :
 وَمَنْ يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَلِاقِ الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
 أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَانَ اللَّقَاحَ الدَّرَائِرِ
 فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنْتُ فَرَّتُهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَطَافِرِ
 فَقُلْ لِذَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مَثَلٌ مِنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
 ٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ: ذَيْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ أَوْى. وَإِنَّ رِعَاةً مَرُوا بِذَلِكَ
 الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ. فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ قَدْ خَلَّ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
 إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
 كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تُقِيمُ
 عِنْدَنَا فِي السُّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخُصْبِ. فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
 الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَابِ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَقَاتَلَهُ
 قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثَقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
 انْتَشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكُدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
 يَسْتَطِيعُ حِرَاكَ وَحَرَمَ طَابَ الصَّيْدِ. فَلَبِثَ الذَّيْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
 وَفَوَاضِلِهِ. فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
 فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا شَيْئًا
 أَنْفُسَنَا. لَكِنَّا نَزَى الْمَلِكُ عَلَى مَا زَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ. قَالَ
 الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَشَبُوا الْعَاكِمَ تَصِيْبُونَ
 صَيْدًا فَأَكْسِبِكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذَّيْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَأَسْتَمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: مَا لَنَا وَهَذَا
 الْأَكْلُ الْعُشْبُ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا.
 الْأَزْبِنُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعَمُنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ أَوْى: هَذَا مِمَّا
 لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يَصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيَبْصُرُ .
 وَتَحْنُ فَلَاسَعِي لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنْ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِي
 وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكَ فَتَحْنُ لَهُ مَجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغَ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْتَبُ مَصْلِحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا عَجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْعَدَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِي عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتَ أَيُّ قَدْ أَمَنْتَ الْجَدَلَ وَجَمَعْتَ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالْعَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لِأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّفْسُ
 الْوَّاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَّتْ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَيَّ أَنْ لَا يَتَكَفَّرَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِجِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عِنْدَ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِ الْجَمَلِ . عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ ائْتَمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ نَفْسِهِ عَلَيْهِ . فَيُرَدُّ الْآخِرَانِ وَيُسَقِّهِ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ أَحْتَجَّتْ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيك . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْنَا بَقَاؤُكَ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلَمَّا كَلَّمَنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ أُسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ . فَلَمَّا كَلَّمَنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا كَلَّمَنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِ مَنِي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطْبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلِحْمِي طِيبٌ هَنِيئٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلَمَّا كَلَّمَنِي الْمَلِكُ وَيَطْعَمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . فَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
وَنَهَمَ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

الجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْفِيَاضِ لِذئْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلْبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
السَّمْسُ لِلْعُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ الضَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانٍ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادَ الْجُوعِ بِالْحُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقِظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئْتَهُ
مُتَحَفِظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَأَحْرَصُ وَالشَّرُّهُ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَلِلذَّئْبِ عَاتِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الدَّكِي .
فَأَدْرَكَهُ الذَّئْبُ اللَّشِيطُ . وَأَفْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسَهُ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ مِنْ
تِلْكَ الْوَرطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا الْمَغِيثُ الْخِدَاعُ وَالْحِيلَةُ . وَأَذْكَرُهُ مَذْكَرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
فَتَقَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجَبِّكَ
الرَّاعِي . لِحَبَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صِدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَسْمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ جِحْسَنَ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظْرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِحِصَابِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَزَعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجُرْعِ . فَسَيَجْمَلُ جِوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَأَنْتَعَشْتَ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مَكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مَصَادِقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَعْنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغِنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغِذَاءِ . فَإِنِ اقْتَضَى رَأْيُكَ
 الْأَسْعَدُ . غِنَاءَ يُنْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَطْفُرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَعْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُقَوِّي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَمَكَ . وَيُنْسِي مَأْمَلَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذَ . الَّذِي لِلجَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيدٍ . وَخُبْرَ سَمِيدٍ . وَلِعَطْشَانَ مِنْ قَدَحِ
 نَيْدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَامْتِثَالِكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالكَ .
 فَعَنَّ مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجُدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصُّرَاخِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحَشَايَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَائِلَ عُجْبًا وَعَجَبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَهْمِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّرِيرِ . فَتَدَّ أَحْجَلَتَ
 الْبَلَابِلِ وَالزَّرَازِيرِ . وَزَدَنِي يَا مَعْنِي . وَغَنَّ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي .
 أَقَرَّ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجِدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَعْتَمَمَ الْجُدِّيُ الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بَعِيَاطِهِ الْغُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَيْنَ الْمَوْتِ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحُجَّازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَأَدَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

قِيَوَاتُمْ أَنْظَرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمَطْرِقِ يَعْذُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ بِحُسْنِ السَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجُدِّيَ
وَأَفْلَتَ . وَتَجَا مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَفَّتُ . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَأَقْعَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْرُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ فَانَ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدِ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِمْرَةِ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَجْرُقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌّ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ قَئِيرٌ عِنْدَهُ هِرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَا وَاهُ . وَكَانَ الْقِطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَآلَفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَلَقَةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
 مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى إِطْلَبَ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
 أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَذِّيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
 تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَحْرِ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْفَارِ عَمْرُو
 وَزَيْدٌ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرَبِيسِ الْجُرْذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
 مَخْرِنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْذُ لِيُضْفِيَ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا
 يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطْرِ أَمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أُمَّتَلَأَ
 وَكَرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْقِرَاعُ مِنَ الْخُحُوفِ وَالْمَزَاجِمِ .
 فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَأَسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْفَارِ عَلَى الْعُودَانِ .
 وَأَفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاءً إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
 الْقَطْرَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
 الْإِنْتِحَالِ . وَضَعْفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
 ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلٌ بِحُفَّتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ
 لَهُ عَلَى حَالَةٍ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
 عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهْبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَرْجِعُ
 فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطْرُ إِلَى
 مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَشُورُ قَلْبَهُ . وَيَنْفُورُ
 حَنَفَهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
 إِلَى التَّحْوِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمَفَارَقَةِ

أَلَسَكُنِ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْغَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْأَقْتِنَاصِ
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَمْحَاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَادَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصُّلْحِ بَسَاطِ الْأَنْبَسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلِ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرَبُّ عَلَيْهَا الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُهُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ أُمَالٍ مَا
 وَقَيْتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَّرَ عَلَى حَمَلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِنَهْلِهِ . وَقَدِمَ مَقَامَ الْهَرِيِّ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرَمٍ مُبَرِّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُّ عَلِيٌّ . وَيَعْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُهْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ الْقِطْعُ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَّارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الجَّارِ الشَّفُوقِ .

وَآرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَّتْ الْحَبَّةُ بِالْمُؤَانِقَةِ .
 وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرُكُ مِنَ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْخُصْلَةَ
 الذَّمِيمَةَ . وَتَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا ذِكْرُ
 لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْسِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
 إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مِثْلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
 فَضْلًا عَنِ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمْنًا . فَإِنْ أَمَّنْتَنِي مَكَرًا وَرَغَبْتَ فِي
 صُخْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَآكَدْتَ ذَلِكَ لِي
 بِمُعَاطَاةِ الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَمَانًا فِي حِمْلِكَ
 وَذَهَابَكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَإِنِّي أَلْتَرَمُ لَكَ كُلَّ
 يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُنْقِي مُهَجَّتَكَ .
 صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ هَذَا الْبَرَّ . اعْتَجَبَتْهُ هَذِهِ
 النِّعْمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعْمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
 إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
 فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقَطُّ كُلَّ يَوْمٍ
 بِمَا أَلْتَرَمُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقَطُّ وَأَسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
 خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقَطِّ دَيْكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
 وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمِرَاعَاةِ
 جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدَّيْكَ تَعْوِيقٌ عَنِ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِمَا لِقَاءَهُ .
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقَطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَيْكَ : بَمَا ذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَيْرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْثَاءِ . فَضَحِكَ أَلَيْكَ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحِيهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَضْحَكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ .
 وَأَنْفِيادِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صِنَائِعِكَ . إِلَى غَائِشِكَ وَخُدَائِعِكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . أَلْوَجِبَ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُقْسِدِ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عُقْدَهُ . وَتَقْضِي
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا مَ
 يَرِمُنِكَ مَا يَسْرُهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حَسِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَرِيَّهُ أَلْوَاصِلُ إِلَيْكَ . لَمَتَّ هُزَالًا
 وَجُوعًا . وَمَلَأَتْ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَا لَكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرْذًا صَادِقَ هِرَّةٍ . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مِرَافِقَةٌ . فَمِنَا صِحَّةُ
 الْقِطِّ وَالْفَارِ . كَصَادِقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِطُّ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلدَّيْكَ : جِرَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبِيرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرَ . فَقَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَأَلْسُحَتِ الْمُنْعَسِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبِيَّةِ
 الْفَحِّ . فَلَا تَشْعُرْ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمُسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَعُ فِيكَ

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطَّلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ
 إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدَّيْكَ عِنْدَ الْقَطْرِ
 فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدَحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّيْكَ مِنْ حِينِ
 أَنْفَلَقْتَ عَنْهُ الْبَيْضَةَ . وَسَرَّحْتَ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفْتُ
 لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لَشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مَرَّتْكَ . فَهُوَ أَبَعْدُ مِنْ
 أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُعْشَّ وَيَتَّصَعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
 صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
 وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
 مُخْفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ تَزُولَ
 مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
 يَتَّقِبُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
 أَمْرٌ بَائِسٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطِرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
 جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْرَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
 غَزْوَانَ . فَخَسَّ وَقَهَرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
 وَقَدَّرَ . فَأَشْمَأَزَّ لِرُؤْيَيْهِ الدَّيْكَ وَاسْتَعْمَلَ . وَأَنْتَفَضَ وَابْرَأَلَ . فَأُرْتَعِدَ
 الْجُرْدُ مِنْ شَيْخِ الدَّيْكَ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَنْتَفَشَ وَأُزْوَى .
 وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا .
 وَالْقَطْرِ يَرِاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَيُمَيِّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
 وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُنْتَقِمِ . وَهَمَّ وَانْفَهَرَ . وَرَقَصَتْ سَوَارِبُهُ وَأَزْبَارُهُ .

وَلَسِي الْعُهُودَ وَالْأَيْمَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْحَلَهُ فِي خَبْرٍ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

المهدد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَلَّمَ بَعْضَ عِبِيدِهِ الصُّلْحَاءَ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدًى . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَقَبِي بَعْضَ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْمُهْدَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشَّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْفَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالذَّبِيحِ لَا تَتَّعِدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ فَتَانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرَصَدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْمُهْدَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنَّهُ مَسَلِكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْعُهُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيْبًا وَأَظْنُهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيَّنْ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قِفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْحَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّئُهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خَزَعِبَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْمُهْدَدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يُلْهِجُ بِمَقَالِهِ :

كَمَصْفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ يَهْنُهَا تَقَاسِي عَذَابِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يُلَعِبُ
 فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
 فَفَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَاعَبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
 إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْمُدْهَدَ إِذَا
 نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ ثَغْرَةَ الْفَخِّ
 وَلَا مَا وَرَاءَهُ. وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ. كَيْفَ خَذَلَ لِمَا عَوِي
 وَأَعْتَرَّ وَبَطَرَ. وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ أُشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ. وَأَنَا لَمَّا
 أُعْتَرْتُ بِحِدَّةِ بَصْرِي. ذَهَلْتُ عَمَّا يُجُولُ فِي فِكْرِي. فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
 اسْتِبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ اعْتِرَارِي

مالك الحزين والسمكة

١٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ. مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
 غِيَاضٌ وَغُدْرَانٌ. تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ. وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَكِ. مَا
 يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَكِ. فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ. فِي دَعَاةٍ وَخَيْرٍ. يُزَجِّي
 الْأَوْقَاتَ. بِطَيِّبِ الْأَقْوَاتِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ. كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ.
 حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَالْغُدْرَانِ لَمْ يُخْرَجْ إِلَّا وَفِي مِيقَاتِهِ
 سَمَكَةٌ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنْاءِ. تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغُذَاءِ.
 وَأُرْتَجَّ لِقَوْتِ قُوْتِهِ أَبْوَابُ الْعِشَاءِ. فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
 وَالْمَلَكُوتِ. يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوْتِ. فَلَمْ يُفَخَّ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ
 مِنْ أَعْلَى السَّمَكِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ. وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ. عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَليَالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
 سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْتَطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقَفَهَا .
 ثُمَّ بَعْدَ أَقْتِلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
 اسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
 الْبُرْعُوثُ وَدَمُهُ . وَالْعُصْفُورُ وَدَسْمُهُ . أَسْمَعُ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عَمَرْنَا
 فِي صَوْنِهِ أَنْقَضَى . لَا تَعْجَلْ فِي ابْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . فَفِي
 بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
 أَسْمَكَ فَالْكَلَّ عَيْدَهُ وَرَعِيتهُ . وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
 إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ . حَتَّى
 حَصَلَ لَهُ بُوْجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي ابْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا أَسَدُ
 لَكَ رَمَقًا . وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعْدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ فَأَفْقِرَ نِي فِيمَنْ
 أَحِبُّ وَلَا أَسْتَعْنَى فَالْأَوْلَى أَنْ أَقِرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
 فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمُصَادَقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافَقَةِ .
 وَيَحْتَمِلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأُعَاهِدُكَ إِنْ
 اعْتَمَتْنِي . وَمَنْتَ عَلَيَّ وَأَطَاعْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
 سَمَكَاتٍ بَيْضِ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
 يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
 وَلَا كَدٍّ تَحْتَمِلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلَشُونَ . هَذَا الْمَجُونَ . أَعْرَاهُ
 الطَّمَعُ . فَمَا ابْتَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمَزَةَ .

فِي مَجْرَدِ مَا فَتَحَ فَاهُ بِالْهَمْزَةِ . اُتَمَلَّتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فِكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصَلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أوردتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَتَأَمَّلَ عَقْبِي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَعْضِ الْقُرَى لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنٌ أُحْلِقَ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَمَضَى عَلَيْهِ
 مِنَ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأَطَّلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَلَّسَى
 حُلُوهُ وَمَرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلشَّعَابِ شِبَاكَ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَائِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَنِيهِ
 نَوَائِبَ وَشِدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حَيْلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
 فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى بَعْضِ الْجُدْرَانِ . فَظَنَّ
 فِي عَطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خِيَالَ تَاجِهِ الْعَقِيْقِيِّ .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيْقِيِّ . وَنَفَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنْفَسِ . وَسَرَّ أَوِيلَهُ الْمُنْفَسِ .
 وَالتُّوبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَّاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرِقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَآذَنَ فَاظْرَبَهُ حِسَّهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَتَجَهَّرُ . وَيَتَصَفَّ
 وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنْسَى
صَوْتَهُ الْكِنَانِيَّ وَالِدَهَانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيُقْطَانَ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَاسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النَّعْمِ وَالصُّبْحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقَوْتِ . وَمَصَابِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأَسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدِي مِنَ النَّعْمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبُحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجُحُ مِنَ الْوَلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نَظِيرَهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرَ مُنَادِيًا فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيْوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيْتَانِ . وَلَا
يُقْتَصَرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكُ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالصَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّقْرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُو قَلْمُونَ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِسْعَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحُسْنُ

الْمُعَاشِرَةَ وَالْمُرَافِقَةَ . فَتَمَحَّى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشَ الْعَدَاوَةِ
 وَالْمُنَافِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُقَابِ . وَيَبِيْتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرَعَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْزَبِ . وَيَتَاخَى الدِّيكُ وَالثَّعْلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْخُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بَدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمُرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْمَحَبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مَنَا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يِرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيَبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّعْلَبُ يَقِرُّ هَذَا الْمَقَالَ . وَالدِّيكُ يَتَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْجَبَالِ . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبَشْرُكَ بِبَشَارِ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّقْ فِي الْأَعْصِرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَايِمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرُ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِّ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تَعُولُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَيَّ بَعْدَ لَيْسِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُظَلِّعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا ثَائِرًا . وَنَفْعًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبُرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أُجْرِي مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ
 أَبُو الْخَصَيْنِ : وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . بِاللَّهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَضِرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْحَيْلُ تَلْعَقُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبُغُهُ . فَرَجَفَتْ قَوَانِمُ الثَّلَبِ . وَطَلَبَ
الْمَهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْدِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصِدْ حَتَّى أَحَقِّقَ
رُؤْيَيْتَهُ . وَأَتَيْنَ مَا هَيْئَتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبُقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النَّجْمِ . يَحْتَفُ النَّجْمَ فِي الرُّجْمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَضْحُ بِقَوْلِهِ :

لَا يَسَ أَلْسَانُ النَّجْمِ الْعَقِيَّتِي لَا تَقِفُ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَسْكُنُ ذَا الرُّوَصِ حَقًّا فَهَوَ وَاللَّهِ السَّلُوقِي

فَقَالَ الْوَدِيِّ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيءَ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ
وَنَعْقِدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الصَّدَاقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْتِهِ حَاجَةٌ . فَدَعُ عَنْكَ الْمُحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ التَّمْرُسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالطَّبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا التَّمْرُسُومَ . لَمْ يَبْلُغْهُ
التَّمْرُسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

الجمل والملح

٩١ كَانَ جَمَالٌ . فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ . لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيْشُ عَلَيْهِ . وَيَتَقَوَّى هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صِلَاحَهُ . فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَبَعْدَ فِي تَفْقِيرِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَاذِمَتِهِ بِأَثْقَلِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالُ . وَالْجَمَالُ لَا يَرِيقُ لَهُ بِحَالٍ .
وَيَجُدُّ فِي كَدِّهِ بِالِاسْتِعْجَالِ . فَنِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرَعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اسْتِيفَاقِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى الْغُرُزَ هَزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْمِلْحَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخَلَّاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَضْرِ هَذَا الدَّمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخَلَّاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْاِقتِصَاصِ . وَالنَّجَاةِ مِنَ الْاِرتِيهَاصِ وَالْاِرتِيصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرِّصَاصِ . فَهَلْ يَعْزِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ مَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ . وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي حَوْضٍ . وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَنَصَّلْ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ . وَاسْتَبِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْمِلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكَرَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَإِمَّا أَنَّهُمْ يُغَيَّبُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُحَقِّقُونَهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذُوبِهِ مِنَ اللَّدِي أضعفوه . فَتَحْمَلُ
الْجَمَلُ لِلْاِرتِنَابِ الْمِنَّةَ . وَشَفَّ بِدُرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أُذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْحِمْلَ الْمَعْهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَوْزُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكٌ . فَضْرَبُوهُ وَمَا تَحْرَكُ . تَعَمَّلَ ضَرْبُهُ وَعَسْفُهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَازِمَ هَذِهِ
 الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَقْرَعَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَلُ هَذِهِ الصِّيلَةَ .
 فَأَفْتَكَرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَبَيْلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ . وَعَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيِيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنْ الْمَاءِ مَا يَمَلَأُ الْبِرْكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 النَّهْوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَاسَى مِنَ السَّقَاةِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَبِيلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمِسْكِينِ بِأَضْعَافِ الشَّقِيهِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمْثَالُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعْبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ . عَنِ الْجَمَلِ . لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْعَدَارَ . وَالْحُسُودَ
 الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفْرَعُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
 كَمَا هِيَ . وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَقَارَةً
 يُنْقَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْحُضْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البياتني والاربعة العابثون بجنته

٢٩ كَانَ مِنْ تَكْرِيثِ رَجُلٍ مِسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبِسَاتِينَ . فَيَقِي

بَعْضِ السِّينِ . قَدِيمَ قَرْيَةِ مَنِينِ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانِ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ . فَبِئْسَ الْبَعْضِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتْ الْقَوَاكِمَ
بِالْأَنْعَامِ . وَنَثَرَتْ السِّمَارَ مَلَابِسُ الْأَشْجَارِ مِنْ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْتَامِ .
فَأَلْبَجَّتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ . فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ فَقِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسُقُوا . وَنَامُوا
وَعَفَقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ . تَصَرَّفَ الْمَلَاكِ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضْرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْعَجْزَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّأْخِيذِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّفْخِيذِ . فَابْتَدَأَ بِالترَّحِيبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْهَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْفَاكِهَةِ . وَطَائِبَهُمْ بِالْمُنَاكِهِةِ . وَسَامَحَ
بِالْمُتَازِحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَامَحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْعَمَانَا . وَأَسْتَكَانَا وَأَسْتَكُنَا
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عُبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ . لَقَدْ حُرِّمْتُ أَطْرَافَ التَّعَارِفِ وَالطَّرْفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُعَانُونَ مِنَ الْحِرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقُضَاةِ جَدِي . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا فَقِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيهِ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسٌ حِجَابِنَا . يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وَقَايَةَ . وَيَنْكِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نِكَايَةً . فَلَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ .
 فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَاقِهِ وَدُونَ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
 مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَاتُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
 مُرْشِدُ الْعَالِمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَّفُونَا
 بِإِقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَامِهِمْ . فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا . وَالْيَمِينَةُ
 الْأَوَّاصِلَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَابِعَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابِعِهِمْ . فَبِأَيِّ طَرِيقٍ
 تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفْرَجَلِي وَرَمَّانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِسَامَحَةٍ .
 وَتَرَكَتَ لِي الرُّبَابَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دِينَ . أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيئَةً دُونَ عَيْنِ .
 أَلَكْ عَلَيَّ جَمِيلَةٌ . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَقْضِي تَنَاوَلَ مَا لِي .
 وَالهُجُومَ عَلَيَّ مَلِكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَعْزِضْ مِنْ رُفْقَاتِهِ
 أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلامِ . وَاعْتَدَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَلَامٍ . فَأَوْثَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
 الْخَلَاعَةِ . مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَغَامَزَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ . عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مُنْتَهَى الْمُسْلِمِينَ .
 وَعَالِمُ بَيْنِهَاجِ الدِّينِ . عَلَى فِتْوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
 بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . بِفِتْوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءُ . فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالذُّخُولِ فِي هَذَا
 الْحِمَى . أَفْتَيْتَنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ النَّعْمَانُ .
 أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَبِحُجِّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بِالكَ تَعِيثُ
 وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهَلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا إِزْتَكَبَ مِنْكَ هَذَا الْمَخْطُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءَ
 وَالْمُقْتُونِ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيئِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيئِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآلَمَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَنْجَدَ بِصَاحِبِيهِ . إِلَى جَانِبِيهِ . فَمَا أَنْجَدَاهُ .
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يُلَاهِي . الْجُنْدِيَّ السَّاهِيَّ . وَغَاوَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الظَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ . الْمَجِيدُ الْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَشْقِلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ حَظِيرٌ . لَهُ الْجَمِيَّةُ التَّامَةُ
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ أَطَاهِرُ . وَالْأَصْلِ السَّاهِرُ
 وَالْفَضْلِ الزَّاهِرُ . أَسْلَفَكَ الطَّيْبُ أَذِنَ لَكَ . فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ . لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنْ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا عَثَبَ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ احْتِيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا . وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمْ
 الْجِيرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَّوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ .
 وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ . إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَحَدُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ . وَغَالٍ . وَإِنَّمَا أُوْرِدَتْ مَا جَرَى لِمَعْلُومِ أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنْ
 التَّفْخِيْدَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيْدِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَنْفِيْدِ الْأَحْكَامِ
 وَإِحْكَامِ التَّنْفِيْدِ

أَلْبَابُ السَّابِعِ
فِي الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصَّبْرُ

٩٣ يُقَالُ أَوْ كَدُّ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ النَّجْحِ فِي الْحَوَانِجِ. فَمَنْ
وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلأَذَى مَسًا. وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفْوَهُ.
رَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينُهُ وَكُنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْهَجِ:
الصَّبْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الْبُزْبُخِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعُ الصَّبْرِ مَتَّبِعُ النَّصْرِ

(للمقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَإِذَا اسْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ لَهَا بِهِيَ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَوَاطَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتْ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الطُّوبُ
فَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغَى بِجِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَرْضُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

٩٥ مِنْ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ :

هُمَا حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسَجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَادِقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَحْضِهِ الْمَرَاءُ
إِنْ أَلَمْتُ مِلْمَةً بِي فَإِنِّي فِي الْمِلْمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

حَازِرٌ فِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ مَ يَدُومُ التَّعِيمُ وَالْبَلَوَاءُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لِأَغْضِي مُثَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ
وَكَم مِّنْ فَتَى ضَاقتَ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبِدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بِذِلَّةٍ
وَجَاءَ لِأَخْرَ فِي مَعْنَاهُ :

إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُضْلِمَةٌ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يُكْسِفُ النَّجْمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَابْتَهَجِ

وَأَرْجُ إِذَا أَسْتَدَّ هُمْ فَارِلَةٌ فَأَخْرُ اللَّهُمَّ أَوْلُ الْفَرْجِ
وَقَالَ غَيْزُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرَ فَنِي اللَّأَوَاءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْخُرُّ
وَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَانْتَدِبْ جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الدِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكْ جَارِعًا فَلَيْسَ بِعِزِّمْ أَنْ يُرْوَعَكَ الضَّرُّ
فَلَا نِعْمٌ تَبْقَى وَلَا نِقْمٌ وَلَا يَدُومُ كِلَا الْعَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
تَقَلُّبُ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَانِمٍ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرُّ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَسْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتَبَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا أَسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ التَّوَهُُّ تَأْتِي حُطُوبُهُ وَيُعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ مُنَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ اضْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يُوْتِجِيهِ مُنَاهُ
قَالَ التَّمَرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا إِشْتَرَى يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْجِلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالتَّسْمِ
وَالْجِلْمُ حَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَعْبَةٌ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَسَّسَ مِنْ ظَلَمِ

القناعة

١٨ إَعْلَمَنَّ أَنَّ مَا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْدَارِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْعُومِ وَالْحَسْرَاتِ . وَأَنَّ أَحْفَ الْخَلْقِ

بَلَاءَ وَالْمَا الْفُقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسَ تَعْبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَيْءٍ قَامَةٌ مِنْ أَلْهَمَ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَبِعْتُ هِمَّتِي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتْبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَلَكِنَّهَا تُؤَثِّرُ الْعَافِيَةَ
وَصَلَمَا رَضِيَ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
فَارْضَ بِحَالِ قُفْرِكَ . وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْلَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافْرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْمَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثِ كَانِ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ حَرَّاجَ الْأَرْضِ الَّتِي تُنْمِرُ مِنْ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ اتَّعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْعَلَهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَرَبُّهُ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كَلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ مَنِيهِ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةَ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
 إِلَّا أَجْعَلَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ تَنْلُ مِنْ بَعْدِهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

غَفَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى قَفْرًا
 قَالَ غَيْرُهُ يُنَاجِي نَفْسَهُ :

يَا أَحْمَدُ أَقْنَعْ بِالَّذِي أُوْتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَّهَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ تَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَمِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سَيْرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
 أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ الْحُجَّابَ .
 وَيُزِيحُ الْبُورَابَ . لِيَجِيَّ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبَسَاطِ
 وَيُخَاطِبُهُ وَيَعُودَ مَقْضِيَّ الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
 الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
 مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
 وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعَلَّمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
 أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجْتَفْتُ . أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
 أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاعْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ
 الْبَيْتِ . جَمِيلَ الطَّوِيَةِ . لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ . وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُعْتَدِينَ بِالسِّلَاحِ مُقْنَعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةِ ذَلِكَ الْعَدْلِ
وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ

(للغزالي)

قال شاعرٌ :

الْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْخَمُ
الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْيِيرُ مُنْتَمِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّمْيِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ

ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَأَشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ . فَكَتَبَتْ رُفْعَةَ وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ وَقَالَتْ :

يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ : مَلَكْتُمْ فَفَسَرْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَفَهَرْتُمْ . وَخَوَّلْتُمْ
فَعَسَقْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَفَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ

الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّامًا مِنْ قُلُوبِ أَجْعُسُوهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَيْتُسُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّ بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُنْظِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ

(لبهاء الدين)

مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ : إِسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيِّ بْنِ
عِيْسَى صَاحِبَةَ بَغْيِرِ حَقِّهِ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ فِي شَهَادَةِ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتِفَاقَ عَلَى
يُنْفَاقِهِ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْزَةٍ وَأَخْلَاقِهِ . وَأَحْرِ بِسْمِ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَأَنَّ
الْمُنْتَهَى أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ: تَنَافَسُوا فِي الْمَغَاظِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ . وَآكْتَسِبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعْجَلُوهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَانِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعُودَ نِقْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْقَضُوا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكِرَامَاتُ
وَحَلَفْتُ فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفْهِ لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكِرَى مَاتُوا
١٠٤ وَقَالَ آخَرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْدَلْ مَا لِي مَدَى خُلْتِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْسِبُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَنْفُسِهِ وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرَتْ مِيَّ عَلَيَّ تَلُومِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَالْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مَا يَدَعُ
كَدُودَةَ الْقَرِّ مَا تَنْبِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَنْبِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ مَعْنَى بِأَمْرِ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرَى يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ فَاسِجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ شَجْرَةَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْزَقَتْ
فَلَيْكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَانِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (لِلْحَمَوِيِّ)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمٌ فَاتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمَ دَفْنٍ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبٌ
وَأِلَّا فَقُلْ لَا تَسْتَرْخِ وَتُخْرِجْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَأَعِيدُ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامٍ
أَنْعِمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَيْنٌ جَمِيعَ الْأَفَاتِ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرٌّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَثَنِي بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ . أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ السَّيِّدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَأَجْتَهِدَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَدَرَ فِي السَّبَاحِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مِنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَمِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يَعْرِفُ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّؤْمِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرَّوْيَةِ نَارٌ جَدُّ مُنْجِيَةٍ وَوَلَدِيَّةٌ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمِضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ السُّتَيْبِيُّ :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ أُلْفَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَفْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارٌ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِمَجْزَمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَحْمَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَاكَ الْغُلُّ أُمَّتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبِشَارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 أَيْبَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِشَرَّتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 صَرْفِ النَّجَاحِ . وَأَسْتِشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَخَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لِأَنَّ أَخْطَى وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لابي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَى مَا حَطَّ قِيَمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 قَالَعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرَهُ ثَلَاثٌ فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٌ وَوَفُورٌ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالزَّمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤِيِّ :

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ بِمُوتِكَ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْحَهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ يَنْصِيبُ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحَقُّ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ

مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .

عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَعْتَدُّ نِعْمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدُهُ غِبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حَيْفًا

لِلنَّاسِ حَالٌ وَهُوَ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدِي لِيْلِهِ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ

عَيْشُهُ . مُحْتَقِرٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ

غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْمُنٌ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ .

وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا

لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ قُحْمَ الْهَلَكَةِ .

فَصَارَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبِّ مِنْ عِبَادِهِ .

أَشْعَرَ قَلْبَهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدِرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَفِّ بِمَا لَمْ يَكُنْ

لِيْنَالَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ

وَيَكْثُرُ لَهُمُ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةِ :

أَيَارَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي

وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي

وَإِنْ نَالَهُمْ بَدَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْدِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَإِنْ طَرَقْتَنِي نِقْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
سَأْمَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْبِبُ عَنْهُمْ نَظْرِي وَجُفُونِي

كُتِبَ ابْنُ بَشْرِ الْمُرُوزِيِّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَى إِمَاتَتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَابَ الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَعْدًا بِلَا قَتَرٍ صَفْوًا بِلَا رَتْقٍ
خَلِصَ فَوَادِكَ مِنْ غَلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغُلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لابن عبدربه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهِ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :

لَا يُجْزِئَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَالَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رِخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ الْهَمَّ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمَصْلِحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَرَى الْكَلَامَ وَتَرَكَهُ
فِي الْمَصْلِحَةِ فَالْسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يُجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ أَلْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ
تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عِزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَعَنَ . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ . لَأَعْمَدْتَ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحْتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلُّ صَبَاحٍ وَكُلُّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقْلُنَ
بُخَيْرٍ إِنْ تَرَكْتَنَا

(للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مَمْنُوتٌ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَوْتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتٌ

١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ
أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْهُ
نَفَعٌ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ صَدَعٌ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجْرِ . وَأَنْفَعُ مِنْ وَخْزِ الْأَبْرِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَأَحْرٌ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْقُلُوبَ مَزَارِعَ فَأَزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَسَبَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمُ مُطْبِقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَى
 اللَّهَ وَلَا تُطْلِقْ هَذَا الْحُبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأُدَبَاءِ : أَحْسِنُ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للشبراوي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِّزْ مِنْ لَفْظِهِ فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزَيْنِ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثُرْتَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ مُخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجْنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أُسْتَنْصَالُ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عَقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شِنَعَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ بْنُ لُبُونِ الْحِمْيَرِيُّ :

تُرَّهُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ تَعَابٍ بِهِ وَأَرْعَبَ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَبْنِيكَ وَأَطْرَحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا إِنَّهُ لَأَخِيرُ فِي آئِنَةٍ لَا تُمَسَّكَ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَأَخِيرُ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرٌ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَمَّ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِطَبِيبِ
الْمُشَارَكَةِ (للشبراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمِسْرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ) أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجْمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ عَائِلَتِهِ بَعْضٌ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْتِقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى أَثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَأِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ آخَرِي
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاسْتَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمُعَارِضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ أَثْنَيْنِ
بِذَنْبِ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَمَّهُمَا أَتَمَّ بَرِيًّا بِخِيَانَتِهِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبة

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْتُمُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فِيهِتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

(لابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقِيُّ :

إِنَّ الْكُرَيْمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكُرَيْمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتَ السِّرَّ عَمَّنْ أَوَدَهُ تَوَهَّمَنَّ أَنْ أُلُودَ غَيْرِ حَقِيقِ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازِ غِيَابِ مَشَاءِ
بِنَمِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُهْوَطُهُ وَضَعَتْهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبِرُكُمْ بِبِشْرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونَ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونَ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونَ كُلُّ شِعْزَانٍ . مَلْعُونَ كُلُّ قَتَاتٍ . مَلْعُونَ
كُلُّ نَمَامٍ . مَلْعُونَ كُلُّ مَنَانٍ (وَالشَّعْزَانُ الْمُحْرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقَى
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْوَصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّارِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُطْعَمُ الشَّجَرَةُ فَتَلْبَثُ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدِمِلُ . وَاللِّسَانَ لَا يَنْدِمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْقُدُوسِ

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبٌ أَمْ عَلَى غِشٍّ يَبْجَانِي
إِنِّي لِأَكْثَرُ مِمَّا سَمَّيْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَمَقْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَا تِينِي
هَذَا نِ شَيْئَانِ قَدْ نَأَيْتَ بَيْنَهُمَا فَأَكْفُفُ لِسَانَكَ عَنْ شَتْمِي وَتَرْيِينِي

١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : التَّمِيمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا

عِدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بَدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنَسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوِدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ

(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكُذْبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّرُورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاخْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ . وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَبْنِهِ وَسَمِعَهُ
بِكُذْبٍ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُسَيِّدِ بِكُذْبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدِّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوقِّقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالِدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَمَّكَ الْكُذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَّتْ الْكُذُوبُ تَخَلُّهَا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبَصَمَّتِهِ وَبُكَاهِهِ وَبِضْحِكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ
تَكَرَّهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ . الْمُزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ
كَالسُّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّادِقِ . وَيَنْفِرُ
الرَّفِيقَ . وَالْمُزَاحُ يُبَدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ
الْمُرُوءَةَ . وَيُبَدِي الْخُتَى . لَمْ يُجِرِ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
أَلْغَابُ بِالْمُزَاحِ وَارْتِ . وَالْمُغْلُوبُ بِهِ تَارُ . وَالْمُزَاحُ يُجَلِّبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرَهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدُ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحُجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذَكَرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْتَفِ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحُرْدِلِ . وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرَّجُلِ . وَيَرْمِيهِ مِثْلَ الْجُنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْرَحُ . أَخَذَهُ هَذَا
الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلَقَى الْقَتَى يَلْتَقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي حَنِّ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمَلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلَكَ غَالِبًا أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخلوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي الْمُبْهَجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّسَبِ وَثَالِثُ
الْعَيْنِينَ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّفُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عَمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعَدْتُهُ . وَنَصْرَتُهُ وَعَمَدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَلِيلِ شِفَاءُ الْعَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنْهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ . كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رُوحَ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسَاغُ مَرَارَةُ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِالْجَلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الثَّقَاتِ . فَاسْتَرَوْحَ مِنْ نِعْمَةِ الزَّمَانِ بِمَوَانِسَةِ الْخُلَّانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمَعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَبَعْضُهُمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مَنِيَّ وَذُو الْقُرْبَى بَمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَّتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مَلَاطِفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبَغَّيْ شِمَالَهَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلِّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادِقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْتِحَاقَ ظَهْرُ الدِّينِ الْمُوصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
عَدْرُ فُلَيْسِ الْعَدْرُ مِنْ شِمْتِي
وَبِالْمَسْرَاتِ الَّتِي وَلَّتْ
وَعُقْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْمُجْتُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْأَمَامُونَ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيَغْنِي بِهَيْدِينَ الْبَيْتَيْنِ :
عَدِي مِنْ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدِيهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرُوقُ وَيَضْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْأَمَامُونَ وَجَمِيعَ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغْنِيْنَ وَعَبْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْخُلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّابِ
(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ وَأَيُّنَ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ أَنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سُرَّكَ فِي الْحَمِيِّ وَإِنْ غَيْبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبِرِّ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدَا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمِينًا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرًّا أَعْلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ
فَعِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرَّتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرَهُ فَجَفَّ حَمْدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَا الْمُلُوكِ مِنَ الْعَمَالِ
مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمُودَةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرُ فِقُلْتَ ذَلِكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَلِكَ مِنَ الثَّقَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيحُ مَالِي
 فِيمِشَلِ ذَا ثِكَلْتِكَ أُمَّكَ تَبْتِي رَبِّ الْعَالِي

١٢٢ قَالَ الْعَنْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يَسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالرَّحِيبِ وَالْبَشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَأْسِي الْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةً مِنْ يَقْبِي الْمَقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعَيْنَانَ بِالصُّفْرِ

قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمُنَوِيُّ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ الْحِدْنَ الْمَقْدِي وَأَنْتَ مُصَادِقٌ أَعْدَايَ حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٌ مَنْ أَصَادِقُهُ حَقًّا
 وَجَانِبٌ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَسْبِقُ
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَدْمُكَ إِنْ وُلِيَ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلَا
 ١٢٣ قَالَ الْعَتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرَعُ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلٌ مُتَّصِلٌ بِفِرْعِهِ . وَفِرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفِرْعُ الْبَاطِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بَنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحَفِظَ عَلَى زَمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفِرْعِهِ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَانُهُ التَّقْوَى . وَأَمَّا الْفِرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (ابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْنُهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقْتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مِهْمٍ أَحْتَرِسُ
سَتَرَ الْبَغْضَ بِالْفَاطِظِ الْهَوَىٰ وَادَّعَى الْوَدَّ بِنِغْسٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَرٌ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نَيْطَتْ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عَقْدِي
أَعْرَضَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَأْمُورَةٌ بِرِقَّتِهَا
وَتَحْرُسُهَا مَعْرَضَةٌ لِلْأَفَاتِ فَرُضَ الْأَبِيِّ بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَعْتَدِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْتَرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالْتَّمَصِيرِ، (وَلِلْحَمْدِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا بَرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْكَ كَعَادَتِهِ
فَأُصْفَحْ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٣٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرَعِي عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاتٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ أَلْيَالِي
وَأَوْرُهُ عَلَى عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَيُنْفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِالْجَافِ وَلَا الْعَدْرُ الْمَذْمُومُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٌ تَخَذْتَهُمْ دُرُوعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلْتَهُمْ سِهَامًا صَابِيَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

١٣٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحُرْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَابِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَطَوَّلَ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِينِي
مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ أَحَدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ الْمَطَّلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِالْإِنْجَازِ الْوَعْدِ وَأَسْتَتَمِمْكَ الْمَعْرُوفِ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدَهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يُكْدِرُهُ الْمَطَّلُ . كَتَبَ الْعُتْبَانِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبَلْهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطَّلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إَعْلَمَ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ تَسْلَبَانِ الْفَضَائِلَ . وَيُكَسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبِيرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَّخِمْ الْكِبَرَ وَتَأْتِفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلَكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشِيهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (لللابسيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ اُفْتِخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعَلِيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتَّضِعَ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَى وَأَكْظَمَ الْغَيْظَ وَلَا تُبَدِ الصُّخْرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يَدْخُرُ
إِحْمِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلِّكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

في العقل وماهيته

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بَعْرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمُعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْمَحْسُوسَاتِ بِالْمُشَاهَدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْوَجْهَ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهُدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ

(الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِّنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خَلَا يَعْتَرِيهِ جُنُونٌ
وَالْعَقْلُ فَنٌ وَاحِدٌ وَطَرِيفُهُ أَدْرَى وَأَرْصَدُ وَأُخْنُونُ فَنُونٌ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُتِيَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوْءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مِنْ صَاحِبِ الْعُلَمَاءِ
 وَقُرَّ . وَمِنْ عَاشِرِ السُّفَهَاءِ حَقْرٌ . مَنْ لَمْ يَتَمَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاةُ وَثَمَرَتُهَا الْعَقَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى آسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيذٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للسبراي)

١٣٢ حَكِيَ الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلََا كَكُوكِبِي
 أَفْقِي يُزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبَدَ اللَّهَ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبُوَابَا مِنْ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمْرِي أَفْقٌ وَفَرْعِي بِشَامَةٍ يُزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمُحَمَّدٌ
 سَلِيلٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَاثِرِي مَوَارِيثَ مَا أَتَى أَبُوكَ الْمُوَيْدُ
 يُسَدِّانِ أَنْفَاقَ النَّفَاقِ بِشِيْمَةٍ يُزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مَهْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَّالِيَّةِ آدَبٌ مِنْهُمَا السُّنَاءُ . وَلَا أَحْسَنَ الْقَاطِئِ .
وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمَعًا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي . ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَحَدَّرَ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثَالِ أَكْفَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وَإِنْ آتَيْتَ بَجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ
فَقَدْ يَعْلَمُ تَعَشُّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ .
١٣٣ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ حَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُودُ مِنْ عَقْلًا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نَطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ
وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتِحْتِاقِ . فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلَمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا
بُعِيَّةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ
أَمْكِنِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِأَدَابِهِ وَالْآيَةِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَجِيءُ إِلَى النُّقْلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرُقِيَ إِلَى الْفَلَكَ
فَإِنَّمَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مُخْتَلِطٌ بِالْثَرَبِ إِذَا صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بغيرِ
عَقْلِ . وَلَا بِمَنْزَلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بغيرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبُ مِنْهَا . فَيَنْحَطُّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عِيُوبُهُ .
وَتَكَثَّرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرُ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَتَعَدَّنَّ عَنِ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(للشبراوي)

١٣٦ سَأَلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطَنَ . وَمَمْلَكٌ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضْرَاءِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
 وَبَيْنَ أَلْفَتِي فِي النَّاسِ صِيحَةُ عَقْلِهِ
 وَشَيْنُ أَلْفَتِي فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ
 إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
 وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حِلَةٌ فَخَرٌّ مَنْ تَسَرَّبَ لَهَا
 وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
 قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
 الْعُمَيَّانِ يُجَدُّهُمْ أَذْكَى مِنَ الْبَصْرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
 أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصْرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
 قَلْبِي ذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
 وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ
 (لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
 دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِمَثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَفْعَامٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقِرَائِنِ أَفْضَلُ مِنْ
 طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لأبي نصر المقدسي)
 قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ
 تَعْلَمِ الْعِلْمَ وَاعْمَلِ يَا أَخِي بِهِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
 فَالْعِلْمُ زِينٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
 وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْمِيئُ نَفْسٍ قَطُّ مَا عَرَفْتُ
 الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ
 مِنْ قَبْلِ مَا لَفَرَاقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
 عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
 ١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
 عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ اسْتَعْنَيْتَ بِهِ
 كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِعٌ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ
 يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ فَاحْذَرَنَّ تَدْنِيهِ
 وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
 بِالمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ حَافٍ
 وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
 الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي إِكْلَاقُ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
 الْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يُعَدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
 وَمِنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا
 وَأَعْلَمَ بَانَ التَّبَرِّي فِي بَطْنِ الثَّرَى
 لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِقِ نَشِيهِ
 خَافَ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَشِيهِ
 مِنْ حِكْمِهِ لَا مِنْ مَلَاخَةِ نَشِيهِ
 وَفَضِيلَةِ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّلَامُ قَوْمٌ لَا عَقُولَ لَهُمْ . مَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرِّهِ
 مَا ضَرَّ شَمْسَ الصُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ . أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
 ١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . الْعِلْمُ يَجْرُسُكَ وَأَنْتَ تَجْرُسُ
 الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
 يَنْقُصُ بِالتَّفَقُّةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
 الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطَى الْمَلِكَ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
 الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
 يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَفِيهِ جَلَالٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَمٌّ
 فَخَالَطُوا رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَابَ خِيَارِهِمْ فَصَحْبَتُهُمْ زَيْنٌ وَخُلُطَتُهُمْ غَمٌّ
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنِيكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجُومٌ هُدَى إِنْ عَابَ نَجْمٌ بَدَانَجْمٌ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَحَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

١٤٢ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
 فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
 سَمِعْتُ وَكَيْعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسْنُّ مِنْهُ .
 وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مَانٌ
 لَا يَسْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَا طَالِبُ
 الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكْ غَافِلًا فَدَامَةُ الْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَسَلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَابِسُهُ
وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا فَاخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَإِنَّ أُمَّرًا لَمْ يُحْيِ بِالْعِلْمِ قَلْبَهُ
وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورٌ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مَجْدٍ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاصِلٌ يُسَاقِ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجُهْدِهِمْ
وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْمَوَا كَرٌّ بِاسِيلٍ
فَمَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدِي الْعِلْمِ وَالْحُجِيِّ
يَعْدُ كَشَوْلٍ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرَهُ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ إِنْغَمَ جَنَى غَرَسِهِ تَحْظُ بِبَدِيلٍ مُنَى
وَالْعِلْمُ يَضْطَجِبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بَابِي مُغْرِيًا بِتَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

مَا سَاعِيًا وَطَلَابُ أَلْمَالِ هَمَّتُهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدِينَ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَعْبُونٍ
 الْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَسْقِي لِقَتَى أَبَدًا وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينٍ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا شَدَّ مَا الْبُعْدُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْمُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْتَقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ حَلَقْتَ أَثْوَابُهُ فِي عِيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَالْمَسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَهَّنًا بِفِهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتَ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا
 كَمْ سَيِّدٍ بَطُلٌ آبَاؤُهُ نُجُبٌ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنُبَا
 وَمُقْرِفٍ حَامِلٍ الْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمُعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نَعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُخْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرْبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْقَوْتُ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِالْأَطْلَبِ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوُ بِهِ شَرْفَا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبِ
وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِإِلَاءِ أَدَبِ
الْعِلْمِ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ
وَالْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
فَالْعِلْمُ فَاطِبُ الْكِي يُجَدِّدُ جَوْهَرَهُ
كَالْقَوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى الذَّهَبِ
قَالَ آخِرُ :

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ
لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ
فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعَتْ بِحَيْثُ تَسَعَى
فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِلرِّجَالِ
لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ
وَفِي الْعُقْبَى تُتَالَى بِهِ الْمَعَالِي
قَالَ آخِرُ :

الْعِلْمُ زِينٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا
وَكَُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
إِرْكَنٌ إِلَيْهِ وَثِقٌ بِاللَّهِ وَأَعْنٌ بِهِ
وَكَنْ فِتَى مَا سِكَا مُحَضَّرَ التَّقَى وَرِعًا
وَكُنْ فِتَى مَا سِكَا مُحَضَّرَ التَّقَى وَرِعًا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا
رَبِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا
وصف الكتاب

١٤٥ الكِتَابُ نِعَمُ الْإِنْسِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمُ الْمَعْرِفَةِ فِي
دَارِ الْعُرْبَةِ . وَنِعَمُ الْقَرِينِ وَالذَّخِيلِ . وَنِعَمُ الزَّائِرِ وَالزَّيْلِ . وَعَاءُ مِلِيٍّ
عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مِلِيٍّ مَرْحًا وَجِدًّا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجِ
وَرَوْضٍ يُقَلَّبُ فِي حِجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حَيْزِ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذُرَى . وَزَهْرًا لَا يُنْوِي .
 وَثَمْرًا لَا يَفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجِلْدِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجِنْسَ وَصِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتْرَجُّهُمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْزَبْ . أَكْتَمْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْتُمْ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنْ
 الْهُوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الضَّمْحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَحْبَانَ وَإِئِيلَ
 وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمًا تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعْظَ أَسْمَعُ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعُ . وَإِنْ أَنْبَى أَدْمَعُ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعُ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَزَحَ فَتَرْهَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْجِبُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْوِنَتِهِ وَخَفَّةِ مَحْمَلِهِ . لَا يَزُولُكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعْمُ الْمُدَخَّرُ وَالْعَدَّةُ . وَالْمُسْتَعْلَى وَالْحَرْفَةُ . جَالِسٌ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 مَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظْرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ الْقَاطِكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلِدٌ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذَكَرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتَهُ نَوَّهَ عِنْدَهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُفْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجَلِّسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

المُلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الكنز المدفون)
 ١٤٦ أُرْسِلَ بَعْضُ اُخْتَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ اُخْتَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحِوَالِيَهُ كُتُبٌ وَهُوَ يَطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أُحَادِثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ اُخْتَادِمُ إِلَى اُخْتَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ اُخْتَلِيفَةِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالَمُ قَالَ لَهُ اُخْتَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ اُخْتَلِيفَةِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمُ اَلْبَاءُ مَا مُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
 يُفِيدُونَ نَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمٌ مَامْضِي وَرَأْيًا وَتَأْدِيًا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ قَامَ تَعْدَاؤُهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْسِدًا
 فَعَلِمَ اُخْتَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى اَلْكِتَابِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأَخَّرَ
 ١٤٧ طَلَبَ اَلْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمِطَاطِهَا
 زَمَانَهُ . فَسَدَّمَ اَلْوَزِيرُ إِلَى اَلنُّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى اُخْتَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ اَلتَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي اَلْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ اَلْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ اَلْوَزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ اَلتَّحِيلِ
 فِي اَلسُّتِخْرَاجِ اَلْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهَا اَلْوَزِيرُ قَالَ لِنُوَابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 اَلنَّاسِ عِدَاؤِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . قَمَدَ حَصَلْتُمْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعَ الْوَزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
 الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيُعْرِفُهُ خَرَابَ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
 وَحَصَلُوا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَأْهِيهِ وَأَشْعَارُ تَطْرَبُهُ (للفخري)
 قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْأُسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكَتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
 الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
 حَدُّهُ فَقِيهِ قَالَ الْجَاهِظُ : الْبَيَانُ أَسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
 الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ
 وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
 الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِيغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
 الْمَعْنَى . وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
 فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
 اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
 وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :
 الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلَّكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
 الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِقُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُدْرَةِ فِي نَظْمٍ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرُّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَيِّنًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ الْإِيْجَازِ الْخِجَلِ. وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِلِّ.
 وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْفَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ الْآبَنُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرُّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبُلْغَاءُ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمَلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيَزْعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَافِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصُرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدْبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أُمْرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ
 السَّلَفِ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْجَالِسُ وَتُسْتَمْتَحُّ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَامُ. وَيُقَالُ: الْمُدْحُ مَهْرَةٌ الْبُكْرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصِفِ الشُّعْرَاءَ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ السَّخِرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ . إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وَقِيلَ لِحِمْزَةِ بِنِ بَيْتِصٍ :
 مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعْبِلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
 الشُّعْرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْزَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ لِيُسْتَحْسَنَ كَذِبُهُ . وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) إِنْ الرَّجُلُ الْمَلِكُ أَوْ
 السُّوْقَةُ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَابِ أَمْرًا مُعَلِّمًا أَنْ يَعْلَمَهُ الشُّعْرَ . لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ . وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعْرَفُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتَذَمُّ وَتُحْمَدُ وَتُهَجَى وَتُمدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشُّعْرِ . (وَفِيهِ) إِنْ أَمْرًا الْفَيْسِ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مُدِحٌ بِهِ الشُّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَاهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةَ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَسَاكِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشُّعْرَ يُجِيئُ الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشُّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخْرَاتُ

١٥١ (فصلٌ لِأبي بكرٍ الخوارزميِّ جامعٌ يمدحُ الشعراءَ) ما ظنَّك
 بِقَوْمِ الْأَقْصَارِ مُحَمَّدٌ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ .
 إِذَا ذَمُّوا تَلَمَّوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا . وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ .
 وَإِذَا غَضِبُوا وَضَعُوا الرَّفِيعَ . وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبِيرِ لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ . وَلَمْ تَمُدَّ إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ . غَنِيهِمْ لَا يُصَادِرُ . وَفَقِيرِهِمْ لَا
 يُسْتَحْقِرُ . وَشَيْخِهِمْ يُوقِرُ . وَشَابِيهِمْ لَا يُسْتَصْغَرُ . سَهَامُهُمْ تَنْقُذٌ فِي
 الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجَلٌ . وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ . بَلْ مَا ظَنَّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَسَمَاسِرَةُ
 النَّقْصِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنَّكَ بِقَوْمٍ اسْتَمَّ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ . وَأَسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُسْتَقٌّ مِنَ الْعَقْلِ . بَلْ مَا ظَنَّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ .
 يُقَصِّرُونَ طَوِيلَهُ . وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ . يُقَصِّرُونَ تَمْدُودَهُ . وَيُجَفِّفُونَ
 ثَقِيلَهُ . وَلَمْ لَا أَقُولُ : مَا ظَنَّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهِيمُونَ

(لأبي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَتَّسِعُ وَتُرَدُّادُ
 عِظْمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَيْنَهُ فَقَالَ لَهُمْ :
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ جَوَاهِرِ طَبِيعَةٍ وَأَنْفُسِهَا قِيَمَةٌ . يَرْفَعُ الْأَحْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُقِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُعِينِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَالْبَسُوهُ حُلَةً . وَتَرْتَبُوا بِهِ حِلْيَةً . يُوَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشُدِ الْأَضْمِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِالتُّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَرْزَجَمِيرُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاةَ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَبِالْجَهْلِ يَتَلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبِ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَإِنْ قَلُّوا . وَمَحَلُّ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بَنِي الْأَدَبِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَلَّمَهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرْبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بَنِي عِزِّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكُ ذَهَابِهِ . جَدِيدُ أَنْقِطَاعِهِ
وَأَنْقِلَابِهِ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَذُبُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالِ الْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَدَّ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : حَايَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفِي . وَحَرَمَتُهُ لَا تُخْفِي . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

سُئِلَ . قَالَ بَدْرُجَمِّهِرُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِعًا . وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَهِيمًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانِ أَدَبِ الْقَرِيذَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرَّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَفَرَّقُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْغُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ
(للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ

وَمَا أَلْسِفُ إِلَّا زُرَّةً لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى اخْتَلَقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخِرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدَبِهِ
هِيَ كَمَالُ النَّقْيِ فَإِنْ فَقَدَا فَقَفَدُوا لِلْحَيَاةِ أَحْسَنَ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّبْتِ تَأَدَّبَ بِآدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلاَحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعِدِّيهِمْ عِنْدَ التَّسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلاَحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْأَهْلُ لَكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا أَنْفَخَ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَأَسْتَعْمَلَهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلَّ أَمْرٍ .
وَبِالْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ
(للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
 وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُفْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
 هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَخْتَبِئُ ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
 إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسَّرْرِ
 قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَمَخَ الصَّغَارُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
 الْآدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْآدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلْتَ أَحَدَكُمْ
 فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ
 بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسِنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
 وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
 فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضُمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
 بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنْزِلًا . وَلَا
 تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنْ
 الْبَطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
 طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَفَسَادَ قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تُتِمُّوا الْهَلُوبَ بِكَثْرَةِ
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
 قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهَمًا شَرَهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الِإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغِنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى . قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُّ بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ . وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدَيْوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَبْيَاتٍ فَقَالَ :

إِذَا الْمُرءُ وَافِي مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتَهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بِاسْمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارِكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتُ سَالِفٍ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةً وَجْهَ الْمُرءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ بِهَا وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ : تَمَّامُ الْأَضْيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرْحِيبِ حَتَّى خَلَّتْني ضَيْقًا لَهُ وَالضُّيْفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَاثِلٍ :

وَأَنَّا نَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ زُرْوِهِ وَنُشِعُهُ بِالْبِشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَا حِكِ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبِشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمُ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضِيفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يُغْضَخَ عَيْنَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْبَسَ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَسْتَهْجِرُهُمْ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَدْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرْفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضِيفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضَيُّ سِرَاجَ لَا يُضِيئُ .
 وَرَسُولُ بَطْنِي . وَمَا بَدَأَ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِيئُ . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشِيعَ
 الْمُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (للأبشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا أُسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرِيءٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ : الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا القُوَّةُ . وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الغِنَى .
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ المَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْتَرُ قَلِيلَ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ عُمُرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ الحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَبْوَابُ التَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

المحداد والامير

١٦٠ حكى القاضي أبو عبد الله الأَمِيدِيُّ النَّابِيبُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وِلَايَتِهِ لِلشَّعْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دُهْنًا
عَلَى خَنْصِرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعَ حَلْقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحُدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلْقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيحًا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِثُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنُّ الْجُرْهُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصِرِهِ الْحَاتِمُ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلْقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حَجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيحًا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخْطِي لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذَا بَدَا جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدٌ
فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأَسْتِحْسَانِ (بدائع البداهة للازدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ أَلْوَرَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزُهْوُ بِهَا لَوَجَدْتَهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد
العشاء سكران ضرب عنقه. فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتیان
يتمايلون وعليهم أمارات السكر. فأحاطت بهم العلمان وقال لهم
صاحب الحرس: من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم
في مثل هذا الوقت. فقال أحدهم:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ:
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ لِمَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ تَزَلَتْ بِمَا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمَنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ:

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَلْشَدَّ عَلَى الْبَدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ لِمَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
 فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَيْضًا وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَحْتَفِظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ فَوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلْسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتِبَ مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ
 لَهُ يَحْمَلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرُطْبَةَ . فَحَانَتْ الْغُلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعُرَيْفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرَعْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعُرَيْفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ الْفُصُوصُ

(كِتَابُ الْمَعْجَبِ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرْفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى مِنْ بَعُوضِهَا:

لَكَ مَنَزَلٌ كَمَاتَ سِتَارَتُهُ لَنَا لِلَّهِو لَكِن تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثُ
غَنَى الذُّبَابِ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبُعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبُرْغُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبُعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِإِلَاعْمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِإِلَاعَرُوضِ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْأَمُونِ حِينَ قُبِضَتْ

ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ

دَوْحَتِكَ. أَفْتَاذَنْ لِي فِي الْكَلَامِ. قَالَ: نَعَمْ. فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ

ثُمَّ قَالَ: أَمْتَعْنَا اللَّهُ بِحِمَايَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا. وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا.

بِقَبَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَسَأَلَهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا. وَفِي

أَثْرِكَ مِنْ آثَارِنَا. وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا. هَذَا مَقَامُ

الْعَائِدِ بِظُلْمِكَ. أَهْلَابِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ. الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ

(للشريشي)

وَعَدْلِكَ. ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا

علي بن الجهم

١٦٦ سَخَطَ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَّاسَانَ. وَكَتَبَ

أَنْ يُصَلِّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَبَهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . وَقَالَ .

لَمْ يَصْلُبُوا بِالشَّاذِيخِ عَشِيَّةً أَلَا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ
شَرَفًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَجْمِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً
وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارَقَ نَيْلَهُ
فَرَأَيْتُهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولًا
مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ زَعَتَ لِبَاسَهُ
كَالسَيْفِ أَفْضَلُ مَا يَرَى مَسْلُورًا
وَقَالَ فِي الْحَبْسِ :

قَالُوا حَبَسْتَ فَقُلْتَ لَيْسَ بِضَارِي
أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلِفُ غِيْلَهُ
حَبْسِي وَأَيُّ مَهْدٍ لَا يُعْمَدُ
كَبِيرًا وَأَوْبَاشَ السَّبَاعِ تَصِيدُ
عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
لَا تَضْطَلِي إِنْ لَمْ تُرْهَأِ الْأَزْنُدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ
وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَعْشُهُ لَدَيْتِي
شِعَاءً نَعَمَ الْمَنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَطَطَ الْبَادِيَةَ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَقَفَ عَلَيْهِ رُوَسُ
الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَأَسَ
ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ دُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَةٌ فَاسْتَضَمَّهُ هِشَامُ
وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
فَقَالَ دِرْوَأَسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ دَخُولِي لَمْ يُخَلِّ بِكَ وَلَا أَنْتَقْصَكَ
وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنْ هُوَ لَا قَدَمُوا لِأَمْرِي فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

نَشْرُهُ وَالسُّكُوتَ طَيِّبًا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنَشْرٌ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ . فَسَنَةٌ أَكَلَتْ
 اللَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَذَابَتْ السَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فُضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسِبُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يُضِيعُ أَحْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : مَا تَرَكَ
 الْعَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ الثَّلَاثِ عُدْرًا . وَأَمْرَ بِيَمَانَةٍ أَلْفِ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَمْرَ لَهُ بِيَمَانَةٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي جَائِزَةٍ
 الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للشريشي)

الشاعر المتروى

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرَقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يُعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمُدَّةٍ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ مَدَّ الشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبُؤَابِينِ سِرًّا : لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَّفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهَائِزِ حَاثِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا سَأَلْتُكَ
 يَا أَعْرَابِيَّ . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَاذَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا مُدَّ الشَّعِيرِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنْشَدَ بَدِيهَا :

يَقُولُونَ لِي أَرَحَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى قُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أُجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا حَلَّصْتُهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدُوحُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورَ ابْنُ هَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هَيْرَةَ وَقَالَ :
بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هَيْرَةَ : لِأَشْهَرَنَ امْتِنَاعَكَ
وَلَأَعِيرَنَّكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلْنَا مَا قِيلَ : إِنَّ خَزِيرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفُوزِي . فَإِنِّي إِذَا
قَاتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِن قَاتَلْتَنِي لِجِئْتِي وَسَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ : لِأَخْبِرَنَّ
السَّبَاعَ بِنُكُولِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ مِنْ
الْتَلَطُّحِ بِدَمِكَ . فَحَجَلَ ابْنُ هَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (للنواجي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجُودَ مَا أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ مَدَّ غَيْبُكُمْ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَدَّ غَيْبُكُمْ لَنَا جَارُ
غَيْبُكُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمْ وَأَظْلَمْتَ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا يَعْرِى مِنَ الرَّيْشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَعُودُ لِيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدْنَا فَتَحْيِي سَمَلْنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرُهُ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُنْبَرَةً تَهْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي مِثْلِهَا
وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ لَكُنْتُ أَهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
فَأَسْتَحْسِنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبُلْبُلِ :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمَغْرَدُ فِي التَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَافَا
هَاجَ بِي صَوْتُكَ الْمَغْرَدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْزَانَا
١٧٣ وَقَالَ نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَّصِدِي إِلَى صَعَانِرِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ تُظْفِئْهَا عُقْلَاءُ قَوْمِ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْعَرَبَ أَوْلَاهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرِضِي الْإِلَاهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ إِنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ عَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يُتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِإِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
خَنَّتْ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُودِعًا :

لَا وُدَّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مَقَلَّتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوُدَّاعُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةٌ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمُعَالِي قَابُوسٌ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ مَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُوزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرْدِيٌّ ثُمَّ يُفَدِّي مِثْلَ مَا تُفَدِّي
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشِيمًا مُرْصِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شِمَالًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ: فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْبِيُّ قَالَ: عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَيَّ إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:

لَأَشِيَّ أَعْظَمَ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي حَسَنَ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَانِي الْقَدْرَ قَدَعْتُهَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضْحِكَ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ عُدْرَكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ. وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ أَنْقِضَاهُ عَلَيَّ ذِكْرِي (الاعلاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ:

قَامَتْ لُشَجْبِي هِنْدٌ قَمَلَتْ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيمَهُمْ إِذَا دَعَتَهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا أَلْقَتُلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا أَلْسَبُ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَشِيحُ الْمَغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَيَّ رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَّرَ الْعُبَّارُ مَشِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتَيْلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّيَاحُ وَالتَّكْنِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَنْ بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ مُخْرِدُ

١٨٢ مَثَلٌ دَعِيلٌ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أَمْرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزَلِ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلِ
 وَلَا نَتَّ أَعْلَمُ بِالْمُكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ
 قَالَ لَهُ: فَاتْلُكَ اللَّهُ. وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربّه)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْثًا:

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْثًا وَكُلُّ مِنْهُمَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فِسَادٍ كَعَثْرَبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البجزي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عَبَادَةَ الْبَجَزِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أُشْرِقَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا اكْبَرَ. فَادَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الْيَدِ كَانَتْ
 فِي يَدِهِ الْيَمْنَى. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى. فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ:

بِسْرٍّ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَهِّهِ الْبِجَارُ
 خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هُذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
 وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ
 فَرَمَى بِالْدُرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عَيَّارُ (للأزددي)
 ١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هُذَيْنِ الْيَتِيمِينَ .
 أَنْظِرْ إِلَيَّ بَعِينَ مَوْلى لَمْ يَزَلْ يُوبِي النَّدى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَّافِي
 أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنِمْ دُعَائِي وَالثَّنَاءَ الْوَافِي
 فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 الَّذِي . وَهَذِهِ الصِّلَةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
 حَمَامَةٌ حَلْفَهَا صَفْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حَجْرِهِ كَأَنَّهَا
 بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عُنَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :
 جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
 مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَبْغَدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْتَرَضَهُ مُقَدِّسٌ
 ابْنُ صَيْفِيٍّ الْخَلُوقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَدْنَيْتُ مِنَ الشَّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي آيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا غَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَعْرِقُ
 وَبِحِرَّانٍ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخِرٌ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقٌ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك . فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمس مائة دينار . وقال لهم : ليقل كل منكم
بيتاً في مدح نفسه فأياكم غلب فله الكيس . فبدر الفرزدق فقال :
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءُ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكُ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
فَقَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَّعَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَهَذَا مِنْ هَدِيَّةٍ . وَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِضْمِهِ إِلَى وُلْدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :
 فَدَيْتِكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
 حَبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُفُوفِ تَبَلَّجْ نَضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَأَلْبَدِرٍ وَالشَّمْسُ
 فَلَا تَعْتَقِدُ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً فَتَبْلُكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ
 ١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهُ يُعْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعَدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبًا
 إِنَّ الْفَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا تَمُّوْ قَتَبْتَ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
 ١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَقْرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَصَارَ
 يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
 كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صَرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
 ١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَاكِكَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
 إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُدْرًا
 هَلَّلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا
 ١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا خَلَّتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُودَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
 وَمُؤَبَّخِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلِ أَكْذَابُ تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
 ١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخْرَجَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَمِّ الَّذِي ضَيْفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعًا
أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَاعَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ هَمْدَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مُنْشَاهُ:

ذَكَرْتُ عِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّرَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حَكِي أَنْ جُمُهورِ شُعْرَاءِ مِصرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ

كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فِيهِمْ نُوهُ بِالنَّشَائِدِ وَيَتَأَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَازِمَ فَيُنَمِّمًا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يَعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ارْتَجَّتْ
مِنْهَا دِيَارُ مِصرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضِحٌ لَدَى الْكِرَامِ وَعِنْدَ السَّادَةِ الْكُنُجَا
مَا زَلَزَلَتْ مِصرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصْتُمْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبًا

الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ الْبَصَرَ

أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ أَدَهَانَ فِي غُلامٍ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً فِي شَفْتِهِ :

بِأَيِّ مَنْ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً أَلْتِ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسِبْتُ أَنَّ بَيْنَهُ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنْشَدَ صَدْرُ الشَّاعِرِ بْنِ جَهْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ أَلْحَقُ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى فِرَابِهِ
هَزَّتُهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنِ ضِرَابِهِ

٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ الْلُغَوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالِكَ قُلْتَ خَيْرٌ تَقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أُرْدَحِمْتَ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنْيَسُ نَفْسِي دَفَاثِرِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُ لَأَبِي هُدَيْيَةَ لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خُزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَجْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

٢٠٣ كَانَ أَحْلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَوَلَدَهُ فِي

تِلْكَ الْحَالَةَ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ

عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْلَتِكَ

لَكُنْ جِهَاتٍ مَقَالَتِي فَعَذْلَتِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(زُهَّةُ الْإِلْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْإِدْبَاءِ لِأَبِي بَرَكَاتِ الْإِنْبَارِيِّ)

اولاد زرار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِيَادٌ وَأَمَّارٌ أَوْلَادُ زِرَارٍ إِلَى أَرْضِ تَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلَامًا قَدْ رَعِيَ فَقَالَ: الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ: وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادٌ: وَهُوَ أَمَّارٌ . وَقَالَ أَمَّارٌ:
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ: أَهُوَ أَعُورٌ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ: أَهُوَ أَزُورٌ .
قَالَ: نَعَمْ . قَالَ إِيَادٌ: أَهُوَ أَمَّارٌ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَ أَمَّارٌ: أَهُوَ شَرُودٌ .
قَالَ: نَعَمْ . فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي ذُلُونِي عَلَيْهِ . فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ: كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا تَجْرَانَ فَتَرَوْا بِالْأَفْعَى الْجُرْهَمِيَّ . فَتَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ: هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهَمِيُّ: كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ: رَأَيْتُهُ يَرَعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطَبِّهِ لِأَزُورَارِهِ . وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ بَتْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَانْتَفَرَقَ . وَقَالَ أَمَّارٌ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِأَنَّهُ كَانَ
يَرَعَى فِي الْمَكَانِ الْمَلْتَفِ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَصَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِيَّيَ مَدَحْتِكَ فَاسْتَمِعَ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حُكْمَنَّاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ الْعَدَثِ الْمَخْشِيِّ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَعْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةَ مِنْ الْعَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمٌ لِقَمَانٍ وَصُورَةٌ يُوسُفٍ وَحُكْمٌ سُلَيْمَانَ وَعَدْلٌ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرُقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ . فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ حَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَا أَحْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِبَيْتِلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَمْبَلَتْ غُرَّةٌ وَجْهَهُ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَأْسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَتَقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ
ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيمَا بَغِضُ اللَّغْظِ . فَتَلَّكَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظُرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُجُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِحُجُودِكَ سَهَلَتْ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوَ الْمَحَامِدِ مَا جُدُّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودٌ لَهَا فِي غَيْلِ حَفَّانِ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِحَارِهِمْ بَيْنَ السِّمَّاكَيْنِ مَثَلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّبِيعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانٌ
 وَرَغِيفَانٌ سَيِّدًا وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً
 التَّمْرِي الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَتَّسِعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَّضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤِكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمَةٌ لَوْمَ الْوَعَى وَالْمَتَايَا صَابَهَا فَرَعُ
 (قَالَ) فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ

٢٠٩ حَكَى الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّسِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
أَعَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي .
وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقُلْتُ :

إِذَا اعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَاْمَدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
وَعُدْ بِفِنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلْ سُؤَالَ
فِنَاءِهِ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَانِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصَّرْتَ الْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ الْمَعْنَى : وَأَمْرِي بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ
٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ قَصَدَهُ إِلَيْهَا عَجْرِدٌ وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُوهُ زَيْنُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمِ وَالْأَحَدِثِ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ رَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْحَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَذْمِ
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
وَرْتُهُ ذَلِكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ
فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ

٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
مَا إِنْ أَعُدُّ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا
وَإِذَا التَّلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا

إِنَّ التَّكَاثُرَ لَمْ تَرَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَأْحَتِكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنشَدَ إِسْحَاقُ التَّمُودِيُّ الْقَضْلَ الْبَرْمَكِيَّ قَوْلَ أَبِي الْحَجَّانِ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ

إِنَّ الْفُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الْتَرَى أَشْرَ النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ التَّرْعُ

فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمُهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَضَعُ

قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشِّعْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَيْ لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا الْأَسَاعَةَ

وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا آتِي لَمْ أَكْفَيْتُهُ عَلَيْهِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ

اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ

بِسُكَايَةِ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . (الآغَانِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَرْصَافٌ خَصِصْتَ بِهَا فَكَلَّمْنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُنْتَبِطٌ

الَّتِي ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِعَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عَيْدٍ فِي مَدِيحِ فَضْلِ بْنِ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَنَانِلُهَا لِلْغِنَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

أَخَذَهُ ابْنُ الرَّومِيِّ فَقَالَ لِابْرَهِيمَ بْنِ النَّدِيرِ :

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضِرَاعَةٍ وَتَحْتَلُ وَالْعَرَّةُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمَدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَدَلَ التَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلًا

٢١٤ قَالَ ابْنُ التَّمُودِيِّ لِيَزِيدَ بْنِ قَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسِوَاكَ بَانِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعُرٍ
وَإِذَا صَنَعَتْ صَنِيعَةً أَتَمَّتْهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرٍ

٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَدْعَانَ :

أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيمَتِكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ قَرْمٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهْدَبُ وَالسَّنَاءُ
حَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الطُّقْرِ الْجَبِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الشَّاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْبَرَهُ الشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ يَنْدَحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوِلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حِدٌّ عَنْهُمْ وَخَلِمْهُمُ بِمَا أَحْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

٢١٧ قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادِ بْنِ عَبْرَةَ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هُرِمَتْ أَنْ ابْنَ عَبْرَةَ لَدَى الْهَيْجَاهِ يَحْيِيهَا
لَمْ يُبَدِ فُحْشًا وَلَمْ يُهْدَدْ لِغُضْمَةٍ وَكُلَّ مَكْرَمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزِبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورٌ فَهَوَ كَافِيهَا
 ٢١٨ قَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْجَلِيلِ أَلْبِي فِيكُمْ مَحَاسِنِكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
 كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَتْرَجِ طَابَ مَعًا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
 ٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قِرَى الضِّيْفَانِ
 وَيَكَادُ مَوْقِدَهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقِرَى حَطْبًا عَلَى التَّيْرَانِ
 ٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ لِلْأَمِينِ :

تَعِشْ عُمَرَ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
 تَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَتَنَنِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ
 ٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعْ رُبَّ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحْ
 قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تَرِبِدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحْيِي
 ٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفُ فَضْلُ جِبَابِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي
 وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَمْتَهُ خَشِنَانِ
 ٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
 ٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالنِّعَمِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
 أَنْتَ إِذَا جُدْتَ صَاحِبُكَ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
 ٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالَ النِّعَمَ وَقَتَ رَبِيعٍ كَنَوَالَ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالَ الْأَمِيرَ بَدْرَةَ مَالٍ وَنَوَالَ النِّعَمَ قَطْرَةَ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نُرْجِي فَلَمْ نُنْجِبْ كَمَا يُرْجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ

بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ النَّبِيعَةُ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ النُّذَيْرِ فَيَا هُجَيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيْفَاخِرُكَ ذُو فَائِشٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ

لَا مَسْكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلِعَبْدِكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَاكَ أَحْسَنُ مِنْ

وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلِظَنِّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ

أَبْلَجُ مِنْ رَفْدِهِ . وَخِثْلُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنَعُ مِنْ

جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَلْسَدُ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْحَقْرِ

مُسَوِّجٌ بِالْعَالِيِ فَوْقَ مَفْرَقِهِ وَفِي الْوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ

إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْمُحْلِ بِالْمَطْرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانَ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فَوْهُ دُرًّا وَيَكْسَى

أَثَابَ الرِّضَا (وَهِيَ حَبَابٌ أَطْوَأُهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا غُلَّتُمْ دَحِ الْمُلُوكُ (أَلِفُ بَاءِ لَابِي الْحَجَّاجِ الْبُلُوِي)

٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ أَحْنَيْطِ الْمَسْكِيُّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْصِيلِ يَدِهِ فَإِذْنٌ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَنْتَهَى إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ أَمْوَالَ بَأْسَرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكُمِّي كَفَّهُ أَبْتَعِي الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أُفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلْتُ مَا عِنْدِي
 فَأَعْجِبَ بِمَا الْمُهْدِيُّ وَغَنَى بِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

٢٢٩: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَرْزُكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أُنْتِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقِ عَلَيْهِ كَانَ بِخُرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِيَّتُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَّاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خِرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذُوو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
 وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بَعْدَكَ قِطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرَيْنِ بَعْدَكَ عُودٌ
 وَمَا لِسِرِّرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
 فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطَهُ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا
 نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَبَلَغَتْ الْحَجَّاجُ فَقَالَ: لِلَّهِ دَرِيءٌ لَوْ كَانَ تَارِكًا
 لِلسُّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للبيهقي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوِّيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
 فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ الْبَانِظِرُ
 لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعَلَّمَ أَيَّ أَمْرٍ شَاكِرٌ
 ٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
 وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْأَحْيَاءُ يَمْطُرُ الذَّهَبَا
 وَالذَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصِلْ وَالْبَجْرُ لَوْ عَذَبَا
 ٢٣٣ وَاللَّبْحُرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صِغَرٍ فِي السِّنِّ وَانظُرْ إِلَى الْمُجْدِ الَّذِي شَادَا
 إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
 ٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنَ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
 فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِإِبَّاسٍ أَوْ لِعِجْدٍ أَوْ لِحُجُودٍ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَكَثْرَتُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَذْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبَيْنَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطَعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَلْتُ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبَ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمُعَالِي أَرْبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَى لَا تَرَانِي لِدُعَاؤِهِ مِنْ حُجُبِ

٢٣٧ صَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيَّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مِنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَبَّوْنَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ فَسِوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَأَيُّ فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَاسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي أَلْحَفًا وَبَلَّغَنِي أَلْحَا جَةً مِنْهَا فَأَنِّي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالِ الْقُرَيْبِيِّ :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِمِحْظَةَ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودَهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْهَرِّ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقْفَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ :

وَالْأَيُّ يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَأَنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبْلِهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَمَلُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْتُنَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ مَوْتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنَ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلُّهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِعَجْدٍ مُوَثَّلٍ وَقَدْ يَدْرِكُ الْعَجْدُ الْمُوَثَّلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
 وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
 وَأَيُّ لَعْبُدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا
 وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
 لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلْفٍ الْعَجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا
 وَأَقْتَعِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَقْتَحِمُهُ
 لِمَا نَابَهُمْ قَدَمًا وَأَعَشَى الدَّوَاهِيَا
 لِأَدْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الاعاني والحماسة)

الهبوط

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَجِيلٍ :

سَيَّانٌ كَسَّرَ رَغِيْفِهِ
 فَارْفَقَ بِكَسْرِ رَغِيْفِهِ
 أَوْ كَسَّرَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ
 إِنْ كُنْتَ تَرَعَّبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ
 لِي بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ
 لَيْسَ لِي مُذْحِيتُ ذَنْبٍ إِلَيْهِ
 وَجَفَّانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُضِلُّهُ الْمِعْدَةُ الْفَاسِدَةُ
تَخَوَّفَ تَحْمَةَ أَضْيَاةِ فَعَوَدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَيْبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيْتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ سُؤْمِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ مَجَاةَ اللَّسَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامِ

٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ أَخْبَأَنِي كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ الْقَلْبِ
فَكَانَ يُؤَلِّي الْعَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرَّقَاعَةِ يُؤَلِّي ثُمَّ يَعْزَلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ خَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا وَظَنًّا بِأَنَّا نَقُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخِرُ طَيْبًا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتُ جَاهِلٌ مَرْكَبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا نَهَمًا:

إِذَا صَوَّتَ الْمُعْصُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ:

لَوْ أَنَّ خِيفَةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ:

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَةَ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةَ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ:

يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمِ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَجَلُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنَوْهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ سُمَلَةَ الْمُنْقَرِيَّ فِي مِيَّةٍ صَاحِبَةَ ذِي الرُّمَّةِ:

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرْتَ مِيًّا فَلَا حَبَّذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مِيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحِزْبِيُّ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمَهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ: إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الْأَدَهَانَ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ بِالشَّعْرِ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
فَلِدَّجَا جَعَةَ رِيْشٍ لِكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الشقي على كسرى فانتصب بين يديه . فقال له
كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعربي أنت .
قال : نعم ومن صميمها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
العرب بالطيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها .
فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويعدل أسنانها . قال
الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها . لو عرفت الحق لم تنسب
إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
العباد كما قسم الأرزاق وأخذ التوم نصيبهم . ففيهم ما في الناس من
جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفُسٌ سخيَّةٌ . وقلوبُ
جريَّةٌ . وعقولٌ صحيَّةٌ مرضيَّةٌ . وأحسابٌ نقيَّةٌ . فيمرق الكلام من
أفواههم مروق السهم من الوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
يضام . ولا يروع إذا نام . لا يقرون بفضل أحدٍ من الأقسام . ما
خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحدٌ من الأنام . قال كسرى :
لله درك من عربي لقد أصبت علما وخصصت به من بين الحق
فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

أَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْعَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ:

وَأَرْقَشَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَهْفٍ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمَلِكَ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخِرُ فِيهِ:

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبِ الْخُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا

وَدَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

فَلَا هُوَ يَمِشِي لِأَنَّهُ هُوَ مُقْعَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لِأَنَّهُ هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَضْمَتِ يَجْبَنُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تُحْقِرُ شَأْنَهُ
وَهِيَّاتُ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ:

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عَمْرُهُ
يَتَرَجَّمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بِلَيْعًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحٌ بِسِرِّهِ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خَفِيَّةٍ
وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجُوفٌ
وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلْفِزٍ فِي دَوَاةٍ :

وَمَرْضَعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنْبِهِمْ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَاللَّذِي رَأْسُهَا
لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَالْفَرَزُّ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ التَّمِيمِ الطَّيِّبِ النَّصْرَانِيِّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ
يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُحْكِمُهُمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءٍ
أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأءٍ
أَخْرَسٌ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ
يُعْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءٍ
بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلْأَقْلُ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرْبٍ
أَلَا خَبْرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُوكَلُّ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً
 وَلَيْسَ لَهُ خُمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ
 وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ
 وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
 ٢٦٤ أَلْغَزَّ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ

وَذِي أَوْجِهِ لِكَيْهِ غَيْرُ بَاحٍ
 تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ
 بَسْرٌ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
 فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
 ٢٦٥ قُلِعَ لِإِسَامَةَ بْنِ الْمُنْقِذِ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مَلْغَزًا :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صَحْبَتَهُ
 لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ
 يَشْتَقِي لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدٍ
 لِنَاطِرِي أَفْتَرَقْنَا فِرْقَةَ الْأَبَدِ
 ٢٦٦ أَلْغَزَّ ابْنُ زَكْرِيَاءَ بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَشْرِ الْمَوْتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرَهُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا
 إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ لَيْسِيرُهُ
 وَيَخْضُرُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ قُرْبَهُ
 وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُهُ
 وَلَمْ يُسْتَرزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِ
 ٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهَاءَ
 مَلْغَزَا فِي قَفْلٍ :

وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنَعُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا
 وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ

٢٦٨ نُغْرِ فِي طَاحُوتَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَاعَةً
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمْنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبُ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفَةٌ فِي أَلْبَابِ مَرْدُودَةٍ

تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَعًا

لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

٢٧١ قَالَ آخِرُ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ

يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تَهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يَدْرِكُهُ

٢٧٢ الْغُرُ آخِرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَبَرَنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ

أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمُهُ
يَرْفُسُهُ وَيَلِكُمُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَرْحَمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخِرُ فِي الْأَبْرَةِ :

وَدَاتِ ذَوَائِبِ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاءَهَا فِي الْحِجِيِّ وَفِي الْأَذْهَابِ

يَعَيْنِ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفْتَ لِدَمْعِ ذِي انْسِكَابِ
وَمَا لِبَسْتِ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزُ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي عِيدِهِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٍ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِنَدِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدٌ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَارِجَلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّمَاوَاتِ
٢٧٧ قَالَ أَحْلَاطِي مُلْفِزًا فِي بَابِ بِيضَرِ عَيْنٍ :

تَحَبَّتْ لِحُرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيْتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

وَمَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا



أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ
فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ
بِاللَّفْظِ. وَيُعَيِّنُ فِي النَّظْرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَطْرِ. يَرَى النَّصْحَ قَرْضًا
يَجِبُ آدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزِمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَفْرَخَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوِهِ. أَثَبْتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَهْلَ.
وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَهْجَلَ (لِلشَّامِيِّ)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا أَغْلَاهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَّهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (لِلشَّرِيشِيِّ)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونَ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْمُشِيرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ الْمُشِيرُ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ مَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرَّ يَحْتَطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْرَلُ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الْإِغَانِي)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أُرَكِّزُهَا
 لِصَلَاتِي. وَأَعْدَهَا لِعِدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
 وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيئِي لِتَسْعَ خَطْوِي. وَأَثْبُ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنُنِي
 الْعَثْرَ. وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجْنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُدِينُنِي إِلَى مَا
 بَعْدَ عَيْي. وَهِيَ مَحْمَلُ سَفَرْتِي. وَعِلَاقَةُ أَدْوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
 وَأَلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتَتُوبُ عَنِ الرَّمْحِ الطَّعَانِ. وَعَنِ السِّيفِ
 عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتَهَا عَنْ أَبِي وَسَاوَرْتَهَا أُنْبِي مِنْ بَعْدِي.
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى. فَهِيَ الْحُجَّاجُ
 وَأَنْصَرَفَ (للبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَحْفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ
 أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
 تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
 وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ
 شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْ نُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِيٌّ
 الْمُنْظَرُ. سَيِّئُ الْخَبْرِ. يَنْجَلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
 أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
 أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطَ نَفَرَ.

٢٨٤ سُئِلَ سَنَا قَدِيسٌ عَنِ الْمُرَكَّبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ: مَعْقُولٌ مَجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ: تَوْمٌ لَا
 أَنْتَبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى. نَقِيضُ الْبَيْتَةِ. أَنْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَرَعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فِطْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ: شَرٌّ يَتَمَنَّى. مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ: تَصْوِيرٌ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ. وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ:
 مَلْعَبَةٌ أُلْبِجَتِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ (عَلَى زَعْمِ الْأَقْدَمِينَ). أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمَّ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ:

إِنِّي بَلِيْتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعِنَايِ
 إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ حِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزَيْنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيرُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَيْسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطِّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السُّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمُنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمْرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتُقِ الرَّطْبِ الْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيْتٌ يَتَفَرَّدُ
عِلَالَةً مَرَجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتِ وَقَلْبُ زَبْرُجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمُومِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَانَا الْجُلْنَارُ فِي الْقُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْوَسُ الْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مَلِئَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ النَّدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجَ الْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ نَرِ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنظَرًا مِنَ النَّوْرِ يُجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرَحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آدَارٍ وَيَأْشِرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقِ وَأَفْحَوَانِ وَوَرْدٍ وَخَزَامِي وَزَجِسٍ وَبَهَارِ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَاتَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا مَجْزَرَةً وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسَّمَاءٍ بُكَاءٍ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ أُبْتِسَامُ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقَلَّتْهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطْرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْعُضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو قَدْ أَمِيتُ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبِرْ عَلَيْهِ مِنَ النَّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُعُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفُقُ يُسْفِرُ تِلَاةً وَيُقَطِّبُ
وَكَأَنَّ مَخْضَرَ الرِّيَاضِ مَلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبَهِي بَعْدَ أَلْهُدُوِّ بِهَا قَرَعُ النُّوَائِيسِ
كَأَنَّ سَوْسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطُّوَائِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلِ :

حَازَ السَّفَرُ جَلَّ لَذَاتِ الْوَرَى فَعَدَا عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالْتَفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالرَّاحِ طَعْمًا وَشَمِّ الْمِسْكِ رَائِحَةً وَالتَّبْرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لِأَكْثَلِ وَمَصِّ لُبِّ وَرَشْفِ
كَمَلْتُ فِي أُسْتَوَائِهَا وَأُسْتَقَامَتِ بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنِ قَدِّ وَلُطْفِ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنَيْتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِرَاحِ أَغَادِيهَا وَكَأْسِ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ وَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٍ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِلَادَهَا فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَعَدِيرُهَا
٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشُّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَا عَائِبَ الشُّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشُّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لِعِبَارِهَا شُغْلٌ عَنِ الْعَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ الْهَامَّ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبُ الْكَأْسِ عَنِ الْكَأْسِ
 وَصَاحِبُ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعٌ قَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّخْوِ :

النَّخْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالرَّءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
 فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلْهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ :

وَزَارِهِ تَرُورٌ بِلَا رِقِيبِ وَتَنْزِلُ بِالْقَتَى مِنْ غَيْرِ حِبَةٍ
 وَمَا أَحَدٌ يُجِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتَهَا بِقَلْبِهِ

تَبَيْتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عَظْمِ كَرْبَةٍ
 وَتَمْنَعُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْعَصَهُ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهِ

أَمْتُ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرَحَبًا بِهِ

قَالَ بَعْضُ الْأَشْعَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :

أَلْقَبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالِدَمُّعُ كَالدَّرِّ فِي الْخُدَيْنِ يَسْتَبِقُ
 إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

أَلْبَابُ الرَّابِعِ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رِضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَأِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَمِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَمِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلِكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَاللَّهِ يَا
يَأْسِرُهَا هَيْئَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضْفَهُهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الرُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْقَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مِنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلُمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَمْتَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فَدَاوِهِ يَمِثَلُ
هَذَا الدَّوَاءِ

المُتَّصِرُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمُتَّصِرُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِعَظَمِ قَدْرِهِ
يَفْرَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمُتَّصِرِ فَحَبَّبَهُ مَدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُسَكِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعْفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقَلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ اعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمُتَّصِرِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَدَّتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا أُنْجِمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَمَّيْتُهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَاهِي . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرُكٌ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عَمْرٍكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيُقِيمَ بَدَتِ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَابِئَاتِ
خَاسِرَاتِ . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
بِمُخْبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِيلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (لللابشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آداهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا
جَدَّ بَنِي بَثْوِي وَقَالَ : الزَّمَنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَّكِرٌ . فَتَمَدَّدْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةَ بَيْنِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الْدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةً قَرِيًّا . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يُجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُوتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ اتَّبَعْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَنَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
يَقُولُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَثَافِيٌّ عَلَيْهَا قَدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ الصَّبِيَّةُ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ قَتَا كُلُّونَ .
 فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عَمْرٌ يَتَأَمَّلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
 الْأَوْلَادِ أُخْرَى . فَطَالَ الْوُقُوفُ . فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
 يُوقِفُكَ سِرِّبْنَا . فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَّةِ
 فَأَكَلُوا وَاسْتَقْبَلُوا . فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَوَمَلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
 أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءُ الْعِيُونَ . وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
 وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ
 قَتَا كُلُّونَ . فَقَالَ لِي عَمْرٌ: أَدْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسَائِمِهَا . فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
 وَرَاءَهُ . فَقَالَ لَهَا عَمْرٌ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَه . فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 أَحْسَنَ رَدٍّ . فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هُوَ لَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارِخُونَ وَيَبْكُونَ .
 فَقَالَتْ لَهُ: يَا لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ . فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
 الْقَدْرِ . فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطُّ
 إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ . وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ .
 فَتَقَدَّمَ عَمْرٌ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يُغْلِي .
 فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ . فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنْ فِيهَا
 شَيْئًا يُطْمَخُ فِيوَكُلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَعَلَبَ النَّوْمُ عِيُونَهُمْ
 نَامُوا . فَقَالَ لَهَا عَمْرٌ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا . فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
 لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ . فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرِي عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍ بِنِ الْحَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عُمَرُ وَنَكَسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَتَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَةَ يَمَازَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعَيْتَهُ .
 لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مَعِينٍ وَلَا
 مُسَاعِدٍ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقْوَتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صَبِيَّتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثْرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّاعِي الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَعَلَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالَ الضَّيْقُ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظَلَمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَةَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةُ وَالسَّاعَةُ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَشِينَا وَالْكِلَابُ تَشْتَجْنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبَهُاعِي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمْرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَنَظَرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ رَحِمَهُ عَلَى كَفِّي . فَحَمَلْتُهُ أَيَّامَهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلْتَهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدِ انْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى حَيْتِهِ
وَعَيْنِهِ وَجَبِينِهِ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْجَمَلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَّضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَامِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمَلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثَقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمَلِ ظَلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّامَ هَذِهِ
الْعَجُوزِ تُعَلِّقُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَصْبِرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ هَثُ الثَّورِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَمَةَ الْعَجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَن كَنَفِهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقَ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعَجُوزِ : أَعِنْدِكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِي . وَجَعَلَ يَنْكَسِرُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ فِيهِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِ حَيْتِهِ وَقَدْ كَنَسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطَبُ رَأْسَهُ لِيَتِمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هُكْدَا
حَتَّى اسْتَمَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلِيَانُهُ . فَجَعَلَ يُجْرِكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَرَأَيْتُ الصَّبِيَّةَ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيُرِدَهُ
 وَيَلْقَمُ الصِّغَارَ . وَمَنْ يَزَلُ يَفْعَلُ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى آتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَاتَّفَقَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكَ . فَأَتَيْتَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَجِدُنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تَعَلَّلْتُ سَبِيئَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزِلَتْ وَأُسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفَوْا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينئذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ آتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمْرِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَغْفَرَهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيئِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ أَمْوَالِ تَسْتَوْفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا

(للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حكي عن معاوية أنه لما ولي الحِلَافَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .
 وَأَمْتَلَاتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذَعْنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُكُومًا وَقَائِعَ أَيَّامِ صِفِّينَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكُرْبِيَّةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كَرُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضُ . وَآلِ حَدِيثِهِمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بَرِيَّةً الْخَرِيضُ . فَقَالُوا : أَمْرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تَسْمَى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تَسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَهَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورُ لَأَقْبَلَ . وَالْمَسَالِمُ لِحَارِبٍ . وَالْقَارُ لَكُرٍّ . وَالْمُتْرَازِلُ لَأَسْتَقَرٍّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بئس ما أشرتم به وقبحا لما قاتم . أَيَحْسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَهَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ أَمْرًا قَدِ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدَ لَهَا وَطَاءً لِيْنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَائِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مَبْطُنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ رَكِيفَ رَأَيْتِ سَيْرَكَ . قَالَتْ : خَيْرٌ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحَرَّضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ . وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
 تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
 تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتُ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
 سَمِعْتِكِ تَقُولِينَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
 الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَعْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرْسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
 الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ اسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدْنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
 أَخْبَرْنَاهُ . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدِ التَّامَ شَمْلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
 الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْمُحِقُّ وَالْمُبْطِلُ أَفَمَنْ كَانَ
 مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْتِزَالُ الَّتِزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
 أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْجِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
 الْأُمُورِ عَاقِبَةٌ . إِثْنَا الْحَرْبِ غَيْرَ نَاكِصِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ » يَا زُرْقَاهُ
 أَلَيْسَ هَذَا قَوْلِكَ وَتَحَرَّضُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
 شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتِكَ . مِثْلَكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسُرُّ جَلِيْسَهُ .
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَكِ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلِكَ
 وَأَنَّى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حِكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكِ تَقْضَى . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيِّ
 حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقِتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْمْ
 مِنَ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ
 إِلَيْكَ وَنَزْعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
 فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُنُوسَةً
 وَدَرَاهِمَ وَأَقَطَهَا ضَيْعَةً تُعَلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَائِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ بِهَا
 وَبِعَشِيرَتِهَا

(للأبشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرمهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
 خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
 نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمَّ يَزُولُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى أَحْتَاَجَ إِلَى
 إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَأَسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَأَسْوَهُ حِينًا ثُمَّ إِنَّهُمْ مَلَوْهُ .
 فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَيْبَةٍ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ
 رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
 إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَّقَوْتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
 نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَاتِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ وَالْيَا
 عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقَى حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
 عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ: أَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ مُوَأْسِيًّا أَوْ مُكَافِيًّا . فَقَالُوا لَهُ:
 لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكِرَامِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
 وَقَدْ سُمِّيَ الْفَيَّاضَ لِزِيَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
 دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
 بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
 يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
 خُزَيْمَةَ فَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَسَلَّمَهَا إِلَى الْغُلَامِ وَأَخَذَ مِنْهُ
 الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ: خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاولَهُ خُزَيْمَةُ فَرَأَاهُ
 ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جِئْتِ
 فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا حِشْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
 تُعَرِّفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ: زِدْنِي إِيْضًا . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ: لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُزَيْمَةُ بِالْكَيسِ إِلَى امْرَأَتِهِ وَقَالَ
 لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ قَوْمِي أَسْرَجِي . فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى
 السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُزَيْمَةُ يَلْمُسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
 حُشُونَةَ الدَّانِيَرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ امْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
 بَعْدَ هَذَا مِنْ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأُخْرَجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ
 لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْهَا قَالَ : أَخْبِرْكَ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُبِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَا مَا كَانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَالِحٌ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْحَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْعَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ حَيْدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُزَيْمَةَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُزَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُزَيْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنْتَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هُدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا قَوْلَهُ حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَهُ لَكَافَيْتَاهُ عَلَى مُرُوتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالْكَاتِبِ . فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُزَيْمَةَ الْوِلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمْرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوِلَايَةِ فَقَبِلَ خُزَيْمَةُ الْأَرْضَ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِثُلَاثَةِ خُزَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَعْيَانِ الْبَلَدِ . وَسَأَمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْأَمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤَخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ . فَخَوَّسَ
 فَفَضَلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا لِي
 دِرْهَمٌ مِنْهُ سَيْلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِعَجْبِيهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِي لَسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعِرْضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضْرَبَهُ . فَكَبَلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضْرَبَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ بَلْغَ
 أَمْرَاتِهِ ضَرْهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَأَعْتَمَّتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةَ لَهَا
 ذَاتَ عَقْلِ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِ السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّمِيهِ الْخَلْوَةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمُكَافَأَتِكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةَ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسْوَأَتْهُ جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيمِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْقَتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى رُجُومِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْفَيَاضَ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضَاهَا الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوَجَّهَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمَهُ ذَلِكَ فَتَكَسَّرَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةَ وَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْقَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةَ : كَرِيمٌ فَعَالِكٌ

وشوه مكافأتي . فقال له عكرمة : يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ
 أَمَرَ بِقَيْوَدِهِ أَنْ تُثَقُّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةَ بِالْحَتَامِ فَأَخْلَجِي وَدَخَلَا جَمِيعًا . وَقَامَ خُزَيْمَةُ نَفْسَهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَحَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا
 فِي الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ . فَرَاعَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَلي الْجَزِيرَةَ يَقْدُمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَا مَعَ قُرْبِ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِخَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 فَمَا أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِجَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرِكَ لِأَرَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَيَّ رُؤْيَتِهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبُ حَوَائِجَكَ رَمًا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَقُضِيَتْ عَلَى أُمَّ وَجِهٍ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الشَّحْفِ وَالطَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ : أَمْرٌ خُرَيْمَةٌ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتُهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ . قَالَ : بَلْ رُدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَسِيمًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ . فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِحُضْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السَّجَانَ وَأَسْتَمَالَهُ . وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ الْحَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ . فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا . فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ . فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجْرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا . وَلَمْ أَجْرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ عَذَبَهُ وَعَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا .
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْرِجُنِي فِي صَيْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ :
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ يَزِيدُ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ . ثُمَّ دَعَا بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ .

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهَمَا جَمِيعًا بِغَلَيْنٍ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا لَلهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلُ يَزِيدَ تَانِيًا . وَأَجْعَلُنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمَبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحْتَجُّ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَلْنَا عُدْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحَجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ بْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
 وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحَجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبَشِيهِ)

عفو كريم وإحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّقَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: الرِّمَ مَجْلِسِي فَنَدَاتَ يَوْمَ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ :
 يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِحْفَانِكَ مِنَ الْعَدُوِّ . فَقَالَ : سَمِعَا
 وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
 الصَّخْرَاءِ فَيَنَّمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ . فَتَحَيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَّكِرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَتَنَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رُجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُشْبِلًا
 عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَتَزَلَّ عَنْ فَرَسِهِ وَالتَّفَّتَ فَرَأَانِي فَقَالَ لِي : مَنْ
 أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ : رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي
 مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَنْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَرَأَيْكَ تُدِينُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ فِيهِمْ
 ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
 ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
 وَأُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرِي . (قَالَ) فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
 تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ . ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَسِيهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجِبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
 يَنْزُمْنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَضِيكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخَطْوَةَ. فَقَالَ : وَمَنْ ذَاكَ. فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِثَأْرِكَ. فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْجَرُكَ الْإِخْتِافُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَثَرِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتُ الْمَوْتَ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْفَلَتَ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمِهِ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَأْرِهِ مِنْكَ
 وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ آمِنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا وَأَنْصَرَفْتُ
 عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي عُمْرِي
 بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للتلبيدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِي عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
 مَدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ مَالَ
 بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ الْبُسْتَانَ أَنْ تُعْرِفَنِي .
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنُ بُسْتَانَهُ لِيَتَرَهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى خَشْبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَعَرَّتْ بِهِ الْحَشْبَةَ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُودَ مَعْنَى نَاجٍ مَعْنَا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنَى سِرِّكَ سَيِّلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنَى قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنَا يُرَاجِعُهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذَ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَا خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ فَحَطَّرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ
أَنْ يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَنْعَمَ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ لِأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ (لَهُ)

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي يَوْمًا

فَعَاتَبَنِي عَلَى سُرْبِي الْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَيَّ وَكَدَيَّ
مُوسَى وَهَارُونَ الْبَثَّةَ وَلَكِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لِأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَا صَعَنَّ .
قُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَيُّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي نُزْهَةٍ لَهُمَا . فَسُئِلَ بِهَذَا وَرَبِّي
إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَ بِي فَجَرَدْتُ فَضْرَبْتُ
ثَلَاثِينَ وَصِتِينَ سَوْطًا . قُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنَّ جُرْمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسِّيفِ فِي جَنْبِهِ فَسَجَنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ سَاعَةً . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعَتَا عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيُّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَحَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَيْهًا بِالْقَبْرِ فَيُصَيِّرَنِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيُسْكِنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِاللَّتْرِ وَبِالْبَقِ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ اسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
فَحَمُّهُ وَكُنْدُرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقِ . فَأَتَيْتِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْعَمِّ . فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى
اللَّتْرِ فَالْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَيُّ قَدِ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيْتَانِ مُثِيلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الَّتِي وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَامِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلْنَا مِنَ الثَّقَبِ الَّذِي

خَرَجَتْ مِنْهُ . فَمَكَثَتْ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْجَنَسِ :
 أَلَا طَالَ لِنَيِّ أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارِ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أُسَامُ بِهَا الْحَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُسِنَتْ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنَنَّ حَلِيلٌ حَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْتِيهُمَا وَحَلَى سَيْلِي (الآغَانِي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلنَّظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدْ هَمَّ بِالْقِيَامِ . امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْبَةٌ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابٌ رَثَّةٌ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدِي لَهُ الرَّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 كَشَكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةٌ عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدُ
 وَأَبْتَرٌ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظُلْمًا وَفُرْقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَالِدُ
 فَاطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْأَجَادُ عَنِّي وَقَرَّحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَانصُرْ فِي وَأَحْضِرِي الْحَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُ

فَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْحُضْمُ . فَقَالَتْ : الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ بِيَدِهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْحُضُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ التَّامُونَ : دَعَهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَحْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ ضِعْفِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
 الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُوْغِرَ لَهَا
 ضِعْفَهَا وَيُخْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَجْوَادِ الْكِرَامِ
 فَتَدَلَّ مَنَزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غِلْمَانِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوْ كَيْلِي : أَذْهَبُ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبْنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغِلْمَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْتَاؤُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ التَّبِيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلِابْنَانِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بَنُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْمِي لَهُمْ
 وَهَذَا أَوْانُ أَوْبَيْتِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعْدَدْتِ لَكَ وَلَهُمْ . قَالَتْ : خُبْرَةٌ تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَا الشُّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْنَعِينَ التَّنْصِفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشُّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَصْغِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِعَبْرَتِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ . فَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَبِيكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتِكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَطَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَبْهَثُونَ بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُواهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَسْهَرُ الْيَسِيرِ
وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَلَا أَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . وَلَمْ يَكُ مِنْ الدُّنْيَا
فَرَحٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَدَخَرْتَ لِنَبِيِّكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَدَخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمُ طَيِّبٍ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوْرِ وَأَظْلُهُ حَتَّى أَتَانِي بِهِ كَرِيمَ التَّمَاكُلِ
فَارْتَدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعْجَبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْجُبَّةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . أَلَهُ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ النَّفْسَ
 وَيُؤَيِّرُ فِي الْخِصَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا فَأَحْضَرُوهُمْ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي لَمْ
 أَطْلُبْكُمْ وَأُمَّكُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَعْنِكُمْ . فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ
 لِفَضْلِ تَقَدَّمَ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَا لِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي حَفْضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالِ مُبْتَدَأً
 مِنْ هَذَا سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَلِكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْمَقَالِ وَصَدَقَ الْقَعَالِ وَطِيبَ الْحَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْأَجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالَ كَرِيمٍ عَظِيمٍ الْحَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلِهِ بِأَنْ يَسْتَدِرَّ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَا جِدَّ . وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْعَدْرَ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ الْعَالِ رَثًا
 الْهَيْئَةَ . فَمَضَعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ . فَأَقَامَ بِالرَّجَبَةِ أَيَّامًا . فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ . يُرِيدُ الزُّهْمَةَ حَوْلَ الرَّجَبَةِ . فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أَزْدِرَاءَ بِهِ . فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعِنَانٍ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ . أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : أَنْ تُضْغِي
 إِلَيَّ بِسَمْعِكَ . وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ . وَتُقِيلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ . ثُمَّ أُنْشَدَ :
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي
 وَيَمْنَعُنِي الْحَجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقَطُوبِ كَأَنَّهُمْ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِمَنْ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانَ قَيْسُ وَرَخْنِدُ
 تَحَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرِحْلَتِي
 فَجِشْتُكَ أَبْنِي الْعَيْرِ مِنْكَ فَهَرَّيْتِي
 فَلَا تَجْعَلَنَّ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً
 تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
 وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
 بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَمِيدِ صُنُوفُ
 فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَمِيدِ مَخُوفُ
 فَاسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدِرْهَمَيْنِ وَثَوْبًا بِشَوْبَيْنِ . فَتَزَتْ الدَّرَاهِمُ
 وَوَقَعَتْ أَثْيَابٌ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيَّ وَآخْتَلَطَ
 عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
 الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ يُبْقِكَ
 لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِحَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقلوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَامَّ
 يَكْتَرِبُ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أُسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَلَسَ
 الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنُّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدَّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
 بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
 يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 (جَبَرَ اللَّهُ بِهِ صُدْعَ الدِّينِ . وَلَمْ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخْمَدَ شَهَابَ الْبَاطِلِ .
 وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ
 الْأَفْئِدَةَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظَمَتِ الْجَرِيرَةُ وَأَنْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
 أَلْيَقُ بِشَيْمِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنُّطْعِ كَامِنًا بِلَا حِظْنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرِي بِمَا قَضَى اللَّهُ يُفَلِتُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنَائَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْعَمُوتَ شَيْءٌ مُوَقَّتٌ
وَلَكِنْ خَلْفِي صِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَقَتَّتُ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِبِينَ بِبَغْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا
كَأَيِّ أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ الْأُذُودَ وَصَوَّتُوا

قَالَ فَبَكَى الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لِسِحْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبُقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَلِصَلَاتِكَ . وَأَعْطَاهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلاً استغاث به وكان خائفاً على دمه فجزى على احسانه
٣١٨ حَكَى الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَّاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَسْتَوَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ السَّعْصِيبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَرُوا فِتْنَةً
عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحِ وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . فَقَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبْرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِابْتِعَاشِ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بِأَبَاهَا مَقْشُوحًا فَلَقَيْتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيئًا جَالِسًا
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ : خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مُرَجَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَدْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ . وَأَشَارَ إِلَيَّ بِأَبِي فَدَخَلْتُهُ
وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ شِيَابِهِنَّ وَقَالَ
لِي : ثُمَّ أَشْلَحَ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الشِّيَابَ لِأَبِي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
شَدِيدًا . فَلَبِسْتُ شِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
بَيْنَهُنَّ . فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
طَلْبِي . فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي : لَا تَحْفَ بَلْ كُنْ مُسْتَقْرًّا فِي
حَرَمِي . ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ
يَرِنِي . فَقَالُوا لَهُ : نَفَقَسُ بَيْتِكَ . فَقَالَ لَهُمْ : دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ . فَدَخَلَ
الْقَوْمُ وَقَشَّوْا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
شَيْئًا . فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرُحُ مِنْ تَائِبِي وَمُجَاسَتِي وَإِكْرَامِي مُدَّةَ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مَقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
اللِّحَاقَ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي . فَقَالَ : أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَايِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسِيَّةٌ دِينَارٍ وَقَالَ لِي :
كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَمْهَلْ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ .
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الرَّأْيَ رَأْيُكَ . فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ كُنْتُ وَقَامَ
مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ . فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسَرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمَتَّعِيًا مِنْ قَرَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَغْدَادَ وَكَلِمَتْ بِأَبِي جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ . فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ . فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ . قُلْتُ : لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْفَظْ بِهِ وَعَدَا أَتَيْتَنِي بِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ قُدَّ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ . قُلْتُ : سَمِعَا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَنظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مَقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَرَكْبُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَلِكَثْرَةِ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غِلْمَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَّشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجَلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرْفَ قَيْدِهِ
فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيُرَوِّحَ عُنُقِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غِلْمَانِي فَجَاءُوا
بِالْعَائِدَةِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِينَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ : مِنْ الشَّامِ . قُلْتُ : أَتَعْرِفُ فَلَانَا الْفَلَّانِي
فِي الشَّامِ . فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي إِذَا تَسَأَلَ عَنْهُ . قُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِي . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ .
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ . فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . فَطَارَ عَقْلِي مِنْ رَأْيِي

فَرَحًا بِهِ فَبَجَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقَّقْتُهُ فَنُتُّ حِينِيذٍ وَكَسَّرْتُ أَقْفَالَ
قِيُودِهِ وَهُوَ يَسْتَبَعُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ أَمَرْتُ الْعِلْمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ ثِيَابًا
فَأَبَى لِبَسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبَسَهَا. ثُمَّ قَالَ لِي: مَا مُرَادُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي.
قُلْتُ: وَاللَّهِ أَنْقِذَكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنِ بَغْدَادِ بِمَرَاجِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ. فَقَالَ: أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبَ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذَ
اللَّهِ أَنْ أَسْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ. قُلْتُ لَهُ: وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: اتَّهَمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفِتْنَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ عِنْدِي وَدَانِعَ. قُلْتُ: حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِلَيَّ أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أُبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي. فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي:
لَا تَظُنَّ أَنَّي أَطَاوَعَكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصَوَّبٌ وَهُوَ: دَعْنِي
مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا سِئْتَ مِنْ هَرَبِي.
فَإِنَّ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرُبَ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَكُونُ
أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ. وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي مَعَكَ
بِشَيْءٍ. (قَالَ) نَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَّا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ. فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي. فَلَمَّا رَأَيْتُ وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْعُضْبِ بَيْنَ
صَيْتِهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَهُ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي: هِيَ

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْرَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتَ وَكَيْتَ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَالْتَدَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أُطْلِقَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ
وَأَتَكَّالًا عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكَ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعُلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِتَقْوَمَ بِإِكْرَامِهِ وَنَجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحَسُّرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَكُبْرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
يَا بَإِي وَأُمِّي إِنَّ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرُبَ لِخَوْفِهِ عَلَى عُنُقِي
مِنْكَ فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَالْأَرْضَ جَمْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ بِرِجْلِهِ
الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ إِلَيْكَ .
فَأَمْضِ مُسْرِعًا وَأَنْتَبِي بِهِ مُكْرَمًا مُوقَّرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي وَدَخَلْتُ
عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَبَيْنَ مَا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ وَأَكْرَمَهُ
وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْمًا نَفِيْسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ . وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ
أَنْ يُؤَلِّيَهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأُطْلِقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَّرًا وَأَرْسَلَ مَعَهُ
الْكَتَبَ لَوْلَاتِهِ يَا مُرْهُمَ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِحَوَائِجِهِ (لِلتَّلِيدِ)

الْبَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ
فِي الْفُكَاہَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَادٍ يَحْتَجُّ بِحَبِّ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءًا :

بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَنُورِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَاءِ مِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدًا أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعٌ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلْبِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دِلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنْشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْخُرِّ فِيهَا وَسَاجُ نَاعِمٍ فَأَتَمَّ زِينِي
فَصَدَّقَ يَا فَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تُعِدُّ فَتَحْلَمُ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْعَافًا (للأزدي)

سِيْدُ الْعَرَبِ

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ :

مَنْ لِسُؤَالٍ وَمَنْ لِنَسْوَالٍ وَمَنْ لِمَعَالِي وَمَنْ لِلْخُطْبِ
وَمَنْ لِحِمَاةٍ وَمَنْ لِكِمَاةٍ إِذَا مَا الْكِمَاةُ حَنُوا لِلرَّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ

فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُنْهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ خَنُّ أَبِي مَنْصُورِ الْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَازَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى الطَّرْقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرٍ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي الْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّادَرُ فَحَضَرَ خَافِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْحُدَمِ فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قَفَّتِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ نَوَادِرِ تَضْحَكُ النَّاسَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفِ جَائِزَتِكَ . فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلِيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقَفْتُ ثُمَّ أَطْبَعَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرٍ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةَ تَفْتَقُ الْحَيْلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِهِمْ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْرُكَ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا وَإِنْ أَنْتَ لَمْ أَضْحَكْ أَصْفَعُكَ بِذَلِكَ الْجِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي: مَلِكٌ لَا يَصْنَعُ إِلَّا بِشِيءٍ لَيْسَ خَفِيفٍ. وَالتَّقْتُ فَإِذَا بَجَرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ. قُلْتُ: مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رِيحٌ.
إِنْ أَضْحَكْتُهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَسْرُ صَفَعَاتِ بَجَرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٌ هَيْبٌ. ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ. فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُخْتَثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي. وَقَفَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنَ الضَّحْكِ. وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ. قُلْتُ: قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ. فَقَالَ لِي: هَيْبِ مَا عِنْدَكَ. قُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ: هَاتَهَا. قُلْتُ: وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي فَتُضَيِّفَ إِلَيَّهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى.
فَارَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ: نَفْعَلُ. يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ. ثُمَّ مَدَدْتُ
ظَهْرِي فَضَفَعْتُ الْجَرَابَ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ.
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مَدُورًا فَضَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَأَنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي. فَصَحْتُ: يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ.
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ. فَقَالَ: قُلْ نَصِيحَتِكَ. قُلْتُ:
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْحِيَانَةِ.
وَقَدْ صَمِنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا.

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوَيْتُ نِصْفِي وَبَيْتِي
نِصْفَهُ . فَصَحَّكَ حَتَّى اسْتَلْقَى وَاسْتَفْرَهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلِيٌّ بِهِ فَأَتِي بِهِ . وَأَمْرٌ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِرَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوَيْتُ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَيْتِي نِصْفِيكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعَ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعَ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمَسْكَنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدْسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَائِرَتَهُ
الصَّفْعَ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْحِ مِنْ عِتَابِي لِلخَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوَيْتُ نِصْفِيهِ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتُ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (لِلشَّرِيشِيِّ)

ابراهيم الموصلي و ابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِابْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَابْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلَيْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَعَنِّي فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
ابْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : فَكُنْتُ فِي السَّحْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضَعُّهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَعْلَمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبْتَغُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَقُمْتُ فَرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يُدِيرَ مَا مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَحُتَّتْ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشُّرْبِ خَرَجَ
الْحَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّي غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَالْمُوصِلِيِّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَعَنَى فِيهِ مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : أَلْحَقْ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصَدَّقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ

(الاعاني)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اسْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَاصِمَةَ الْيَحْمَدِيِّ : أَمِدُّنَا بِخَيْلِ
الْيَحْمَدِ . وَقُلْ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَتَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَمَاهِمُ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فِتْعَارٍ . وَأَعْنَاقَهُمْ لَيْسَتْ بِكِرَّاثٍ فَتَنْبِتَ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَعِيرِ جُرْمٍ تَسَدَّمُ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّأْسِ رَأْسُ
ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثُّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ حَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أُرْمِيَ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى حَمَلٌ خُذْ وَأَنْصَرِفِ أَلْفِي جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطَلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلٌّ
قَالَ وَمَا سِيَاحُهُمْ قُلْتُ سِيوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَأَكْتُبُوا إِذْنَ عَلَيكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْفِي سِجِلٌ فَأَضْمَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ تَرَى أَضَجْرُتُكُمْ قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أُرْمِيَكُمْ قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلٌّ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُمْ قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوْكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى نَحْسِ رُحَلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطْبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشْرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعْتَهُ . ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ : قَدِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ . فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَابِيرُ صَالِحَةٍ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جَمَلَةً . وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي . فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ : عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ
لَا تَعْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بَمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ . قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا مَذْهَبِي مَذْكَرْتُ مَا تَعَدَّيْتُ
السُّكَّانَ وَالْجَلَابِ . وَأَنْصَرَفَ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبُرَّةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذَكَرِي فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ : عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ : عَلَى أَبِي . قَالَ : وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ . قَالَ : الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ . قَالَ : نَعَمْ الشَّيْخُ . وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَا تَجَاوِزْهُ . وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابي الفرج)

حذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سِمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدِ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبٍ وَمَعَهُ حِمْلٌ
زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرَ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمَرَّادُهُ أَنْ يَسَافِرَ . فَعِجْلَةٌ سَفَرِهِ يُمَكِّنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيسًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَّاهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذَهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصِّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَتَسَلَّى . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبَسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسَ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَّاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمًا . فَلَمَّا
 خَرَجَ قَتَسَ عَلَى مَدَّاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانِنَا أَتَرُونَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَسُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فُكَبِسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً
 وَغَرَّمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَّاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَغَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَاتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَّاسُ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ أَلَيْتٍ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى أَلَيْتِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَفْقَرَاهُ أَفْقَرَنِي هَذَا الْمَدَّاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُحْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنُهُ فِيهَا وَيَرْتَاحُ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَثْبِتَ عَلَى حَيْرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبْسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَيْفِ الْحَنَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ الْكَيْفِ فِقَاضَ وَضَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 قَتَمَلَوْهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَيْفِ فَغَرِمَ جُمْلَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُعْتَاطٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ عَظْمُهُ رَمَةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ نَأَمَهُ وَجَرَّحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوْضِ وَالْقِيَامِ بِلِوَاظِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَقَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتَسِبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامًا بَرِيًّا مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حكي أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقَلَّةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بَعْلُو الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَخَافَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَيْحُثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْمُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ
معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِسْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَدْفُنْسِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تُسَمَّى وَبَدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَدْفُنْسِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهَمِّ الْعَطَشِ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَعَهُ فِيهِمْ مَا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَبْسُوْا مِمَّا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ
وَجَلْبَةٌ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْجِيَانَهُمْ وَاجْتَمَعَ قَسِيْسُوهُمْ
وَرَهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمِنَ بَاقِيَهُمْ . فَبَجَاءَ مَطْرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِيجِ . فَشَرِبُوا وَارْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْطِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَدْفَشَ (المرآشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مِصْرَ الْمَشْهُدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُنْيَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مَجْلَلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمَدِ
الْكُبَارِ سَمَاءً بَيْضَاءَ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَحُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّمْطَاجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةَ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْمَجْرَعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْمُتَخَيَّلُونَ . وَالْمَدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي التَّائِقِ . حَيْطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ حَجْرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَشْبَهُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيفُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرَاةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلَتَرَاحِمُ النَّاسِ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكَبَاتِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْجُحِهِمْ بِهِ وَبِالْكِسْوَةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (للشريشي)

٣٣١ نَسَخَهُ مُبَايَعَةَ مَلِكِ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَقْرًا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عَرَفَا مِنْ جِلْقِ
 قِبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَاقِعَهُ بِكُورَةِ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
 وَذَرَعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِإِلْتِزَاعِ
 وَذَرَعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكِ التَّقِي وَحَازِرِ الرَّومِيِّ حَدُّ الشَّرْقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَالْغَرْبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 بَيْعًا صَحِيحًا لِأَزْمَا شَرْعِيًّا ثُمَّ شَرَاءً قَاطِعًا مَرْغِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطُلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهُ
 شَيْئٌ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مَبِيضَةٌ
 قَبْضًا أَلْبَاعُ مِنْهُ وَافِيَهُ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَهُ
 وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى فَقَبْضُ الْقِطْعَةِ مِنْهُ وَجَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
 وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَارِعُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوَمَرْتٍ وَاتَّهَمُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأَيْ مِنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خَبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فَقِدَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمَعَ حَوَائِجَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَّةً . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخَبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتَ فِيهِ وَلَمْ
 يَعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخَبَاءَ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أَوْلِيَاكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرُدَّ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَرَوْا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَاكِشَ وَرَامُوا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَّوَا الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَابَوْهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَهَيِّدُوا وَجِعُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَاكِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَجَةَ بَلَغَهُ أَنََّّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَقَدِّمُ
الذِّكْرِ فِي الْحَبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَأْسِكِ إِلَى حَيْزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِنَسْلِهِ وَتَكْفِيهِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَوَدَّفِنَ (لعبد الواحد المرآشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْ نَاسَنَهُ أَفْشَعَرَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَاعْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حِدَابًا حِدَابِيرَ . وَضَتَّ الْمَرَاضِعُ
عَلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَآيَقَتًا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَبِي لَيْلَةٍ صَبْرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِينُنَا جُوعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَقَمْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَاسَكْتُوا إِلَّا بَعْدَ
هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ بَعَالِمِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَنَتَوَأَمْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجَلِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةً كَانَتْهَا نِعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَّأَ لَبَّتَهُ بِمُدِيَّةٍ
فَحَرَ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِدَدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْنَنَا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هَبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَانْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مِرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَلْشَأْحَاتِمُ يَقُولُ :
مَهَلًا نَوَارُ أِقْلِي الْيَوْمَ وَالْعَدَلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلِكُهُ مَهَلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبَلَا
بِرَى الْبَجِيلِ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خرج كعب بن مامة الايادي في قفيل معهم رجل من بني
النمر . وكان ذلك في حر الصيف فضلوا وشح ماؤهم فكانوا
يتصافون الماء . وذلك ان يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من
الماء بقدر ما يغمر الحصاة . فيشرب كل واحد قدر ما يشرب الآخر .
ولما تروا للشرب ودار القعب بينهم حتى انتهى الى كعب رأى
الرجل النمرى يحده نظره اليه . فأثره بما به وقال للساقى : أسق
أذاك النمرى فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم . ثم
زلوا من الغد منزلهم الاخر فتصافوا ببقية ما لهم . فنظر اليه كظريه
أمس . وقال كعب كقوله أمس . وأرتحل اليوم وقالوا : يا كعب
أرتحل . فلم يكن له قوة للنهوض وكانوا قد قرئوا من الماء . فقالوا له :
رد يا كعب إنك واردة . فعمجز عن الجواب . ولما أيسوا منه خموا عليه بثوب
ينعه من السبع أن يأكله . وتركوه مكانه فمات . فذهب ذلك مثلاً
في تفضيل الرجل صاحبه على نفسه (اخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنة

٣٣٠ من عجائب مدينة سومنة هيكلاً فيه صنم كان واقفاً في
 وسط البيت . لا بقائمة من أسفله تدعّمه ولا بعلاقة من أعلاه
 تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه واقفاً في
 الهواء تعجب . وكانت الهند ينجون إليه ويحملون إليه من الهدايا
 كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف
 قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود .
 وأما البيت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصغ
 بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوءها كان من قناديل الجوهر
 اللائق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حرّكت
 فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن
 السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه
 أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في
 الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت
 العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من
 حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه
 وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فوافقه قوم وخالفه
 آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب .
 فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقريني)

أَلْبَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِجَاشِهِمْ أَنْسُكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتَ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للثعالبي)
أَنشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيُّ:

قَوْضِ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانِ بِهَا
وَأَرْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنَقَصَةٌ
وَجَانِبِ الذَّلِّ إِنَّ الذَّلَّ يُجْتَنَبُ
فَالْمُنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ تَضَامِ بِهَا
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبَلَدَتِهِ
وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حَرْقِ
أَلْكُمْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَشْجَارِ مُنْطَرِحًا
فَالْإِغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
لَمَّا تَعَرَّبَ نَالَ الْغِزَّ أَجْمَعُهُ
فِي أَرْضِهِ كَأَثَرِي يَدْعُو عَلَى الطَّرْقِ
وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا صَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بَدَارِ ذُلِّ
تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَسَمِّعٌ فَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَقْلٍ بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا طَحَاهَا
فَنَفْسِكَ فُرْيَاهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَمَ وَتَوَكَّلَ . ثُمَّ تَأَمَّلَ وَتَوَقَّعَ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
التَّلَاقِي . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَةٌ لِحُظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَابْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَأَكْتِابُ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ الْإِجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ غُمَّةً
يُحْتَفِقُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُخَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرَ الشُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّحِيلِ أَلْمَا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ وَأُنْسِ
الْلِقَاءِ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ . وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّلْسِيمِ . وَرَجَاءُ
الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشُّوقِ . وَالْأُنْسُ بِالمُكَاتَبَةِ (للمقدسي)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّمِ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النَّظْرِيِّ :

بَاتَتْ تَصُدُّ عَنِ التَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَنَا عَةٍ لِلْمُقَامِ الْأَطْيَبِ
فَاجْتَبِهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَلْبِ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقٌ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجِدُّ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَاؤُهُ يَتَّبِعُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ : فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَقَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَطْيِجَ عَلَيْهِ النَّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْعَجِيبِ يُشِيبُ الْوَالِيدَ . وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ مِنْ
الْفِرَاقِ . وَقَالَ النَّظَّامُ : لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتِ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ
الْجِبَالَ . وَلَجَمْرُ الْعِضَا أَهْوَنُ تَوْهَجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمَنْ يَنَاءَ عَنْ دَارِ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقٌ
قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا
فَاجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا
كَمْ سَفَرَةٌ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ
بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَيُوزَقُ
الْحِظُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُثَلِّقُ
ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْعَرِيصُ وَيَخْفِقُ
وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُمْحَقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨٠هـ و ١١٨٤م باختصار)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التَّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَقْرُ فِيهَا لِلسُّلْمِ قَرَارٌ .
مَشْحُونَةٌ بَعْدَةَ الصُّلْبَانِ تَعْصُ بِقَاطِنِيهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعًا بِسَاكِنِيهَا .
أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيَّةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَسِيعَةٌ بِإِرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
 مُسْتَنْدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ أَنْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادُهَا . وَالْبَحْرُ يَعْتَرِضُ
 أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
 لِأَنَّ التَّرَاكِبَ الْكِبَارَ تَدْتُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادَ تُنْسِكُهُ وَيُنْصَبُ
 مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ حَشْبَةً يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . فَالْحَمَّالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
 يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِيْقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيفِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
 الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُضْطَفَّةً مَعَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
 مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَلَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُنُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زُقَاقٌ
 مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
 مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِسِينَةُ رَأْسِ
 جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعِمَارِ وَالصِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
 الْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتَرُّ بِالسُّحْبِ لِإِفْرَاطِ سُؤْمِهِ وَيَعْتَمُ بِالثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
 دَائِمًا . وَخَضْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
 الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخَضْبِ وَالرَّفَاهَةِ . مَشْحُونَةٌ
 بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا وَجِبَالُهَا
 كُلُّهَا بَسَاتِينَ مُشْرِئَةٌ بِالثَّقَاحِ وَالشَّاهَ بَلُوطٍ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِلْجَاصِ
 وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ وَلَيْسَ فِي مِسِينَةَ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
 بَسِيرٌ مِنْ ذَوِي الْمِهْنِ وَلِذَلِكَ مَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مُدْنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا. وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 يَعْرِفُونَهَا بِبِلَارْمَةَ. وَفِيهَا سُكْنَى الْخَضْرِيِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . . .
 وَبِلَارْمَةُ هَذِهِ مَسْكِنٌ مَلِكِهِمْ غَلِيَامٌ . وَهِيَ أَحْفَلُ مُدْنٍ صِقْلِيَّةٍ
 وَبَعْدَهَا مِسِينَةُ . وَسَأُنْ مَلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السِّيَرَةِ وَهُوَ كَثِيرٌ
 الْبَقَّةَ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِحَاصَتِهِ . وَعَلَيْهِمْ يَلُوحُ
 رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَسِعُونَ بِالْمَلَالِسِ الْفَائِزَةِ وَالْمَرَائِبِ الْفَارِهِةِ .
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا وَمَنْ لَهُ الْعَاشِيَةُ وَالْحَوْلُ وَالْأَتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
 الْمُسَيِّدَةُ وَالْبَسَاتِينَ الْأَنْبِيَّةَ وَلَا سِيَّمَا بِحَضْرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةَ الْمَذْكُورَةَ .
 وَلَهُ بِمِسِينَةَ قَصْرٌ أَبْيَضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
 مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْفَةٌ مِنْهُ . وَهُوَ يَنْشَبُهُ فِي
 تَرْتِيبِ قَوَائِنِ الْمُلْكِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُبْهَةِ
 الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جَدًّا . وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
 وَالْمُنَجِّمُونَ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
 ذُكِرَ لَهُ أَنْ طَبِيئًا أَوْ مُنَجِّمًا اجْتَازَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
 مَعِيشَتِهِ . . . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْمُتَحَدِّثِ بِهِ أَنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقُّ حَمْدِهِ
 وَبِمَدِينَةِ مِسِينَةَ الْمَذْكُورَةَ دَارُ صُنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
 لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَائِبِهِ . فَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقَمْنَا بِهَا تِسْعَةَ
 أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّلَاثِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَارَءَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِحَيْثُ نُبِصِرُهُ
رَأَى الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً رَجَّتِ الزُّرُوقَ
أَهْنَاءً تَرْجِيَّةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَائِرَ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونِ
وَمَعَاقِلَ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِفَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ
قَدْ قَامَتْ حِيَالًا مُرْتَفَعَةً عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَتَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيَظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَاءَ ذَاتَ
الْأَسْنِ تَضَعُدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ حَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ حُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجَبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَضَعُدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيٌّ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ
تَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قُذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى الْهَوَاءِ
لِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ وَتَسْمَعُهُ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ . وَهَذَا مِنْ
أَعْجَابِ الْمَسْئُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ فِي بَعْضِ
السِّنِينَ كَالسَّيْلِ الْعَرِمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ .
فَتَرَكُّبُ ثَبَجَهُ عَلَى سَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ
مَخْلُوقَاتِهِ . وَحَلَلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ سِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ سِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِضْبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مُرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قُنَّةٌ جَبَلٍ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
يُرَ أَمْنَعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأَسْطُولِ يَفْجَأَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثُرْمَةَ صَحْوَةَ يَوْمِ
 الْحَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مَيْلًا . فَأَنْتَقَلْنَا فِيهَا
 مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُورِقٍ ثَانٍ أَكْثَرِيْنَاهُ لِكَوْنِ الْبَحْرِيِّينَ الَّذِينَ
 صَحِبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثُرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَهِيَ قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مُنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ حَمَّةٌ قَدْ
 أَغْتَتِ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ حَمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِضْبِ وَسَعَةُ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِضْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبِتَنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبِتْنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِبِلَادَةِ خَمْسَةِ
 وَعِشْرُونَ مَيْلًا . فَحَشِينَا طَوْلَ الْمُقَامِ وَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّنْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزُّورِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَيْفًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصِفَ الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّلْنَا بَعْضَ أَسْبَابِنَا وَخَلَقْنَا بَعْضَ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةٌ وَكَثْرَةٌ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّأْنَا النَّصَارَى يَتَأَقَّرُونَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤَسُّونَنَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَإِنْ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَا يُوقِعُ
 الْفِتْنَةَ. حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
 بِنَا الْأَعْيَاءَ فَمَلْنَا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
 الْبِنَاءَ عَيْثُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِإِزَانِهِ
 عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
 وَعَلَائِي مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَافِقُ السُّكْنَى. وَفِي
 أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَاءٍ. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
 مَفْرُوشَةٌ بِحُضْرٍ نَظِيفَةٍ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صِنْعَةً. وَقَدْ عُنُقَ فِيهِ نَحْوُ
 الْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
 مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَابٌ عَذْبَةٌ فَبِتْنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ
 أَحْسَنَ مَيْتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقْرَبَةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ بِنَحْوِ الْبَيْلِ إِلَى
 جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
 تَقُورُ بِمَاءِ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
 لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
 الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبِصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
 بِهَذَا الْقَدْرِ فَلَمَّا صَلَيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمُنِعْنَا
 وَحِيلْنَا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِتُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلِيَامٌ وَأَدِينَا إِلَى
 الْمُسْتَحْلَفِ لَيْسَا لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسَرْنَا فِي
 مِصْكِكِ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلُوكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنْ الْقُصُورِ الْمُسْرِقَةِ

وَالْيَاذِينَ الْمُتَنظِّمَةِ وَالْبَسَاتِينَ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَّحِذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
 أَبْصَارَنَا . وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا . وَأَبْصَرَ نَا فِيمَا أَبْصَرَ نَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةِ
 فَيْصِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَأَنْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِلَاطَاتٌ . وَالْمَجْلِسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا . فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَازِرِهِ .
 فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَتِلْكَ الْبِلَاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
 حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعُمَّالَةُ أَمَامَهُ . فَحَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 الْمُسْتَحْلِفُ يَتَهَادَى بَيْنَ حَدِيمَيْنِ يُحْفَنَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ . فَأَبْصَرَ نَا
 شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبِيضَهَا ذَا أَبْهَةِ . فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْسَ فَأَعْلَمْنَاهُ . فَأَظْهَرَ الْإِسْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصِرَافِنَا
 بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالِدُعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ . وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَيْرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
 بِهِ . وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّلَاثِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجَّةٍ . وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِلَاطًا
 مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسْتَقْفٌ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ . فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبِلَاطُ سَمِيَ الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذِكْرُ بِلَازِمَةٍ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ . وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةَ وَنَضَارَةَ . فَأَسْتَتَّ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ . وَمُرَادُ عَيْشٍ يَأْنَعُ .
 أَخْضَرَ . عَيْقَةُ أَيْقَةُ . مُشْرِقَةٌ مُؤَبِّقَةٌ . تَتَطَّلَعُ بِمَرَايِ فُتَانٍ . وَتَتَحَايَلُ
 بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَانِطٍ كُلِّهَا بُسْتَانٌ . فَيْصِيحَةُ السِّكِّ وَالشَّوَارِعُ . تَرُوقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا أَلْبَارِعِ . عَجِيْبَةُ الشَّانِ . قُرْطِيَّةُ الْبُنْيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِسُخُوتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ فِيهَا لِمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَاتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْأَفْرَنْجِيَّ . تَنْتَظِمُ بِلَبَّتِهَا قُصُورَهُ أَنْتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكَوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ تَرْهَةِ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ لَهُ
 فِيهَا مِنْ مَقَاصِدٍ وَمَصَانِعِ . وَمَنَاطِرٍ وَمَطَالِعِ . وَكَمْ لَهُ بِجِهَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زُخِرَتْ بُنْيَانِهَا . وَرُفِّعَ بِالْأَقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانِهَا . وَكَتَائِسَ
 قَدْ صِيغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صُلْبَانِهَا . . . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ أَنْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى . وَالْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التَّجَارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِحُطْبَةٍ وَدَعَاوُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهُ
 بِقُرْطَبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ . وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ وَضِعَ قُرْطَبَةَ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارٌ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُسَيِّدَةُ . لَهَا مَنَاطِرٌ فِي الْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تُحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَارْمَةَ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْيَلِيَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ أَحْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرَأَى
 يَنْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمُرْخَرَفَةِ .
 جُدُّهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْأَوَاحِ الرَّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَرِ

مِثْلَهُ قَطُّ قَدْ رُصِعَتْ كُلُّهَا بِفُضُوصِ الذَّهَبِ وَكُلِّتْ بِأَشْجَارِ الْفُضُوصِ
 الْحَضْرُ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالسَّمْسِيَّاتِ الْمُدَهَّبَاتِ مِنَ الزُّجَاجِ . فَتَخَطَفُ الْأَبْصَارُ
 بِسَاطِعِ سُعَاعِهَا وَتُحَدِّثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيهَا الَّذِي تُنْسَبُ
 إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَيْسِيَّةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمِدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ وَعَلَيْهَا
 قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتُعْرَفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ
 مَا يُنْصَرُّ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيٌّ نِسَاءِ
 الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحِفَاتٌ مُتَقَبَّاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا الْعِيدِ
 الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمُدَهَّبِ وَالتَّخَضُّبِ الرَّائِقَةِ
 وَانْتَقَبْنَا بِالنَّقَبِ الْمَلُونَةِ . وَانْتَعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمُدَهَّبَةَ . وَبَرَزْنَا لِكِنَاسِيهِنَّ
 حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخَضُّبِ وَالتَّعْطُرِ . . .
 وَكَانَ مُقَامَنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ فَنَادِقِهَا
 الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صُبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُشٍ بِسَبَبِ مَرَكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَّجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 حَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَوْ مِثْلَ ثُرْبَتِهَا طَيِّبًا وَكَرَمًا وَأَتِمَاعًا . فَشَبَّهْنَا بِقَبَائِيَّةِ
 قَرْطَبَةَ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتٌ . وَبَثْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةَ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزَّرَوَايَا

وَسَكَّانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ . وَقَمْنَا مِنْهَا
 سَحَرَ يَوْمٍ . السَّبْتِ فَأَجَزْنَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَمَّةِ
 وَهُوَ بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ . وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا . فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ . فَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحَانِ الْأَبْدَانِ بِالِاسْتِحْمَامِ فِيهَا .
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرِيَّتَانَهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) هِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ . غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمِسَاحَةِ . مُسَوَّرَةٌ بِنِضَاءٍ كَالْحَمَامَةِ . مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَاسِي
 وَأَوْفَتْهَا لِلْمَرَآكِبِ . وَلِذَلِكَ مَا يَقْصِدُ الرُّومُ كَثِيرًا إِلَيْهَا وَلَا سِيَّمًا الْمُقْتَلُونَ
 إِلَى بَرِّ الْعُدْوَةِ . فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَالْسَفَرُ مِنْهَا
 إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثًا لَا تَهْبُ الرِّيحُ الْمُوَافِقَةُ .
 فَمَجْرَاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَجَازِ الْقَرِيبِ . وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ السُّوقُ
 وَالْحَمَّامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمُدُنِ . لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ
 الْبَحْرِ لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 صَبِغَةٍ . وَالْبَحْرُ فَاعِرٌ فَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ . فَأَهْلُهَا يَوْرُونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
 مِنَ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخِيَ مَدَى أَيَّامَهَا . وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِوَحَاةِ
 السِّفْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَخْرَجِ عَظِيمٍ . وَسَكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكِلَا الْقَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ . وَبُرُكْنُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَائِلًا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطُ السُّمْرِ مُتَّسِعٌ . فِي

أَعْلَاهُ فَنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْتَرَارِعُ .
وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَّزُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا فِيهِ
ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِحَادِثَةِ حَصْنُوا حَرَمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ . وَشَأْنُ
هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَفَجِّرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَثْرِ عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاوُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاعُ . وَالْفَيْتَا الْمَرْكَبَيْنِ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤَمِّلُ رُكُوبَ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
وَاللَّهُ بِمَعْنُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِمَتِّهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةُ
أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صَعَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَمَةَ وَالْأُخْرَى بِبَابَسَةَ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِضْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزَيْرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بِنَ جِيدِ)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ

فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقُرُونِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِصُورِهِ عَنْ مَعْرِفِهِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمُسَدَّاتِ الْمُنْتَاسِوِيَّةِ الْأَضْلَاعِ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِثُ مَعَ الْفِرْجَارِ وَالْمِسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الشَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بِيُوتَهَا الْمُنْتَاسِوِيَّةِ الَّتِي لَا يُحَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَمَا نَهَا أَفْرَغَتْ فِي قَالْبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أودَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشِّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْعِذَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءِ رَقِيقٍ لِيَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يُنَشِّفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْعُبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبَرْنِيَّةِ الْمُصَمَّمةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعْدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ التَّجْرِبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَعْرِقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنْسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
 حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ أَنْطَلَقَ لِسَانَهُ
 بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَتَخَيَّرُ فِيهَا
 عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدَهْشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكَيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَعِينَ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
 الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ
 الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبَحَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَلَقَةِ مُلَقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ يَنْظُرُ
 إِلَى دَوْرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ حَرِيَّةً . وَبَعْضُهَا
 حَمَالِيَّةً . وَبَعْضُهَا دُولَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
 ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ
 تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
 وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِإِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
 نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
 أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَسِيرُ إِلَى الْخُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
 إِلَى لَوْنِ الرَّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
 وَغُرُوبِهَا كُلِّ يَوْمٍ لِإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
 وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنِ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنِ وَسَطِ السَّمَاءِ
 إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشِّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْحَرِيفُ .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ أَكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أُمْتَلَانِهِ وَأَنْحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُخُوفِ الشَّمْسِ
وَكُخُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سِرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنَّسْبَةِ الْيُنَارِ حَوِيَّةً . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضِاضِ الشَّهْبِ
وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالشَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَتَلَعَّبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرْشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطْرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَيْقٍ . فَلَوْ عَسَبَهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدَشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَغْفِرُ
النَّبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُوءُ . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحْبَ وَمِنْهَا مَا يَبْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُزِيهِ الزَّرْعَ وَالشَّمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ كُنُفِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْأَدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقْرًا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أجناس المعادن وأنبت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان .
 ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخة كأوتادها لمنعها من أن تتمد .
 ثم إلى إيداع المياه في أورشالها كالخزانات لتخرج منها قليلاً قليلاً فتفجر
 منها العيون وتجري منها الأنهار . فنجما بها الحيوان والنبات إلى وقت
 زول الأمطار من السنة القابلة . وينصب فاضلها إلى البحار دائماً
 ثم لينظر إلى البحار العميقة التي هي خلجان من البحر الأعظم
 المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال
 بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض
 مستورة بالماء . ثم لينظر إلى ما فيها من الحيوان والجواهر . ثم لينظر
 إلى خلق اللؤلؤ في صدفه تحت الماء . ثم إلى إنبات المرجان في صميم
 الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر . ثم إلى
 ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يذفها البحر وتستخرج
 منه . ثم إلى السفن كيف سيرت في البحار وسرعة جريها بالرياح
 وإلى اتخاذ آلاتها ومعرفة النواتي موارد الرياح ومهابها وموافقتها .
 ومجائب البحار كثيرة لا مطمع في إحصائها
 ثم لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال فمنها ما ينطبع
 كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد . ومنها ما لا ينطبع
 كالقير وزج والياقوت والزبرجد . ثم إلى كيفية استخراجها وتفيتها
 واتخاذ الحلي والآلات والآواني منها . ثم إلى معادن الأرض كالنفط

وَالكَبْرِيتِ وَالْقَيْرِ وَغَيْرَهَا وَأَجْلَهَا الْمَلْحُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْفُؤَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَايِحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيَفْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ.
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاتِجِ مَخْلُوعَةٍ مَطْوُوعَةٍ بِعَنْقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ. ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبُؤَادِيِّ وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطْرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ.
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَأَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا. فَلَمْ تَبْتَ مِنْ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعٌ يَقِفُ
 فِيهَا الْبَشَرُ دُونَ إِدْرَاكِهَا. ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَنْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُحُ وَيَمْشِي. وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 دَهْشَتْ مِنْهَا الْعُقُولُ. بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النُّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ. لِيَرَى مَا يَتَّخِرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا الْبَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَدَاءَ
 وَادِّخَارِهَا لَوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحَذْفِهَا فِي هِنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى. وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْإِنْسَانِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكُؤَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا. وَمَكَانُهَا

الطَّبِيعِي الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ (*) . زَعَمَ الْمُعْجَمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ . وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ . وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ . وَالْمَرِيخَ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ . وَالْمُشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي . وَزُحَلَ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ . وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجُوَارِي .
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِيمِ . وَالْبُرُوجَ كَالْبُلْدَانَ . وَالذَّرَجَاتِ كَالْعَسَاكِرِ .
وَالدَّقَائِقَ كَالْمَحَالِّ . وَالثَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ . إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَانِي لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ . وَلَوْ أَنَّهَا أُنْحَدِرَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ . وَلُطْفٌ آخَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوقَفَةٍ
وَإِلَّا لَأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهُمَا . لَكِنْ تَطَّلَعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَزَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازِلًا لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ حَظًّا مِنْ شُعَاعِهَا . وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لَتَعْمَّ فَإِنْدَيْهَا أَمَا إِلَى الْجِهَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف الفلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل . فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس
وأبطل ما اعتقده القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْعَرَبِ .
 وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى
 تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاغِبِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
 السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
 جَرْمَ الْقَمَرِ كَمَدِّ فَيَحْبِبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
 وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتِي الرَّأْسِ أَوِ الذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
 الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
 لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لَأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
 صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْإِنْجِلَاءِ . لَكِنْ
 يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
 الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
 الْعُلُويَّاتِ فَاخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
 النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبِحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
 الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ الْبَحْرَةَ بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبِحَارُ إِلَى أَمْوَاءِ
 الْبَارِدِ تَكَثَّفَ مِنَ الْبَرْدِ وَأَنْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
 الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبِحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُجِئِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سبباً لبقاء الحيوان وخروج
النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت
بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا تثبت تحت
النجيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الأرتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذبلت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإننا
نرى الحيوانات إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
فتظهر فيها فراهة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال ترداد ضعفاً إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر ونسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مسكانه الطبيعي الكواكب الأسفل وهو
جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَيْلَالُ . ثُمَّ يَتَزَايَدُ الْأَنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايَدُ الْقِطْعَةُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْحَقُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نُقْطَتَيْ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلَّهَا بِوَسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا أَعْتَابُ أَهْلِ التُّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ التُّجَارِبِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُثْبَلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَنْتَهَى الْمَدُّ مِنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مِنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقَتَ ابْتِدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لِلْمَاءِ حَرَكَةٌ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجٌ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ نَقَصُ جَمِيعِ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ رِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَأَبْتَدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِيِّ فِي الْبِحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْمَجْرَةِ وَالكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ

٣٤٤ هِيَ أَلْبِيَّاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُجْرُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَافِي. وَزَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارُ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْمَجْرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةِ مِنَ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَاحِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْضُرُ ذَهْنَ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ تِسْعِمِائَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي طريقة
السيارات. وبعضها في النصف الجنوبي. فسمي كل صورة باسم
الشيء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء.
وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان. وبعضها على
صورة الحيوانات البرية كالحمل. وبعضها على صورة الطير كالعقاب.
وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان والسفينة. ووجد من هذه
الصور ما لم يكن تام الخلقه مثل الفرس ومنها ما بعضه من صورة
حيوان والبعض الآخر من صورة حيوان آخر كالرامي... وإنما
القوا هذه الصور وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم
يعرف به متى أشاروا إليه وذكروا موقعه من الصورة وموقعه من
فلك البروج وبعده من الشمال أو الجنوب عن الدائرة التي تمر
بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والظالم في كل وقت

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ من جملة لطف الله بعباده أن أعطى لكل فصل طبعاً مغايراً لما
قبله في كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدرج.
فلو أثقل من الصيف إلى الشتاء دفعة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم
في الأبدان. فحسبك ما ترى من تغيير الهواء في يوم واحد من الحر
إلى البرد كيف يظهر مقتضاه في الأبدان. فكيف إذا كان مثل هذا
التغيير في الفصول. فسبحانه ما أعظم شأنه. وأكثر امتنانه

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقْلَامِ وَأَعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الهَوَاءُ
 وَهَبَ النَّسِيمُ . وَذَابَتِ الشُّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَعَتِ الْعَيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 العُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَأُنْفَخَ النُّورُ .
 وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونَتِ الحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنُبِغَتِ البِهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرُوعُ . وَأَنْتَشَرَ الحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنِ أوطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابُّ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَمُحِثِدٌ أَنْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
 وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَأَشْتَدَّ
 الحَرُّ وَسَخَنَ الهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الحُجُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِنَتِ البِهَائِمُ .
 وَأَشْتَدَّتْ نُورَةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَأَنْتَشَرَتِ الحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبَسَ
 العُشْبُ وَأَدْرَكَ الحِصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَأَتَسَعَ لِلنَّاسِ القُوتُ
 وَلِلطَّيْرِ الحَبُّ وَلِلبِهَائِمِ العَلْفُ . وَتَكَمَّلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَانَهَا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بَالِغَةٌ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتِقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْخَرِيفِ
 وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْخَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ بَرْدَ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرَ الزَّمَانِ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعَيُونُ . وَيَبَسَّتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الْعِمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالثَّمْرَ وَعَرِي وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ دَيْبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَأَبْجَحَرَتِ
 الْحُمُرَاتُ . وَأَنْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِقَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْعَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيِيرَ الْهُوَاءِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَانَهَا كَهَلَةٌ قَدَّوَلَّتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَسِنَ الْهُوَاءُ وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتِ بَطُونُهَا وَمَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَأَبْجَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبِهَائِمُ وَضَعُفَتْ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهَوَامِّ . وَيَطِيبُ فِيهِ
الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
زَمَانُ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاعَهُ صَابِقًا لَمْ تَغْلُ
قَدْرَهُ شَاتِيًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرَمَةٌ دَنَامِنَهَا الْمَوْتُ . فَلَا
يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدِ انْتَهَى الشِّتَاءُ
وَأَقْبَلَ الرَّبِيعَ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالشَّلُوجُ عَلَى الْجِبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الشَّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
مَخْرُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي آسَافِ الْجِبَالِ
مَنَافِذُ ضَيْمَةٌ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا
جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتِهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي آسَافِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبِحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبِحَارِ . ثُمَّ يَبْقُ وَيَأْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَمْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاصِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خَلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْعَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهَا لَمَا أَمَكَنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمَقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِي عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
عَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَثًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةٌ مَسَاءً
وَلَا مُصْمِتَةٌ بَلْ كَثِيرَةُ الْإِرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِطَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِدُ وَخُجَانٌ . وَكُلُّهَا

مُتَلِّئَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرَطُوبَاتٍ ذُهَيْبَةً . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شِبْرٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
 وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَالِيسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْبَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقُدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتُرْسِ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاؤُهَا وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
 جَاهِلِيَرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنَ الْقُدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
 فِثاغورسٍ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
 رَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَجْزَاءً
 لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنَ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَامِحَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدُ الزَّمِيرِ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَبْلُظَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضِهَا حَتَّى يَنْخَنَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا أَرْتَفَعَ انْتَصَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَثَقَلَتْ
 وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِاللَّيْلِ
 وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوْلًا فَصَارَ سَحَابًا بَارِقِيًا .
 وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرَطًا أَجْمَدَ الْبُخَارِ فِي الْعَيْمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجَأًا لِلْبَرْدِ
 يُجْمَدُ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ فَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّفْقِ فَلِذَلِكَ
 لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
 دَافِعًا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ فِي الْعُيُومِ وَتَرَاكَمَ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
 بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
 مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّمَرِ يَرِي مِنْ فَوْقٍ غَلِظَ الْبُخَارُ وَصَارَ مَاءً
 وَأَنْصَمَّتْ أَجْرَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
 سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطْرَاتُ الصَّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
 بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
 بَرْدٌ مُفْرَطٌ فِي طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
 لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْحَرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَثُرَتْ صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
 قَلَّتْ وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ تَنْجَمِدْ نَزَلَتْ طَلًّا وَإِنْ أَنْجَمَدَتْ نَزَلَتْ صَقِيعًا
 فِي الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَتَعَلَقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
 نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجُمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
 يُبَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَخَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانَ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمِزُّ السَّحَابَ تَمِيزًا عَنيفًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرَبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 فَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تُضَرُّ الْحَشَبَةَ وَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْحِرْقَةِ وَلَا تُضَرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَهُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانَهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا
 لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
 لِلْحَادَاةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابِ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجْرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجْرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
 وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُيُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ الْعَمَامِ .
 فَإِنَّهَا إِذَا تَكَاثَفَتْ انْحَصَرَ الْمَاءُ فَأِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا أُحْتَسِبَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كأه من عجائب المخلوقات للقزويني)

(*) قد اتضع الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهربية وقد

اتوا على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٥٦٥٥ (١٢٥٢ م)
 ٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ تَرَلْنَا بَغْدَادَ فِسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكِهْمَا إِلَى
 طَاعَتِنَا فَأَبَى. فَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذَ نَاهُ أَخْذًا وَيَلًا وَقَدَّعُونَكَ إِلَى طَاعَتِنَا
 فَإِنِ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَوَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ. وَإِنِ أَبَيْتَ فَلَا سَطْرَانَ مِنْكَ عَلَيَّكَ.
 فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ حُفَّتِهِ بِظَنَفِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكِفِّهِ. وَالسَّلَامُ
 ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تَيْمُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْعَجْمِ أَبَا الْفَوَارِسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
 مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ
 رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنِ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ. وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ
 قَدَمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ الْخُرَابَ وَالْقَحْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِثْمُ كُلِّ ذَلِكَ عَائِدُ
 عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اِخْبَارِ تَيْمُورِ لَابْنِ عَرَبِشَاهِ)

كتاب للحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ
 لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدِ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ.
 فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَيْتُنِي مَا
 حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفْرَةَ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنْ

الظلم والعيث والفساد في الأرض . فأعظمتنا ذلك ورأيتنا أن ننفذ
إلى ما هنالك من جيوشنا من يتقم لنا الله به من أعدائنا الظالمين الذين
يسعون في الأرض فسادا . فأنفذنا جماعة من المؤمنين إلى مدينة
حمص ونحن في إثرهم وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطاب
أعداء الله حيث كانوا . ونحن نرجو أن يجربنا الله فيهم على أحسن
عوائده عندنا في أمثالهم . فينبغي أن يكون قلبك وقلوب من
أتبعك من أوليائنا وثيقا بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل
من مرق من الطاعة وأخرف عن الإيمان . وتبادر إلينا بأخبار الناحية
وما يحدث فيها ولا تخفي عنا شيئا من أمرها . سبحانك اللهم والحمد
لله رب العالمين (تاريخ حلب لكامل الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوب العلي الإمامي عن الأمر العلوي الذي
دانت إطاغته الكريمة مما لكه الإسلاميه . وأنقادت لدعوته الشريفة
الأقطار المغربية . وخضعت لأوامره العلية جابرة الملوك السودانية .
وأقطارها القاصية والدانية . إلى الملك الذي له بين ملوك النصرانية
والممل المسحية الرتبة العلية والمنزلة الرفيعة السامية . سلطان
فرانصة لويز ابن السلاطين الذين لهم المكانة السامية المنار
أما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه فكتابتنا هذا إليكم من حاضرتنا
العية مدينة مراکش ولا زائد إلا ما سنأه لا يالتنا الشريفة من عوائد

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ . وَصَنَعَ اللَّهُ الْجَمِيلَةَ الْمُفْعَمَةَ السَّجَالِ . الْمُنَالَةَ فِي الْبُكَرِ
وَالْأَصَالِ . لِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ . هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمِكُمُ الْمَرْعِيُّ الْمُحَوِّظُ الرَّزِيْلِيُّ عَلَى مَرَسَى ثَغْرِ أَسْفِي الْمَحْرُوسِ بِاللَّهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ مَعَهُ لِحُدَامِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادَرُوا بِوُضُوعِهِ إِلَيْنَا
فِي الْقَوْرِ . فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَبَّةِ وَتَأْسِيرِ
الْهُدْنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ . إِلَى مَا أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْفَرَانِصِيِّينَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ . فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أُمَّ الْأَخْذِ
وَأَكْمَلَهُ . إِلَى أَنْ أَسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ . وَأَجْبِنَاكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَابِيِّ . فَصَدَّ أَنْ
يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمُ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ . وَإِنْ
تَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحُدَيْمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمَثَابَتِهِ
فِي أَعْرَاضِكُمْ لِيَسْلَمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَتِيكُمَ مَعَهُ فِي أَعْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ . ثُمَّ إِنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسْفِي فَقَدْ خَدِيمِكُمْ مِنْ
الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ . فَأَقْتَصَّ بَعْضُ
الْحُدَامِ أَثْرَهُ فِي الْجَبْرِ فَلَمْ يَجِدْهُ أَثْرًا . هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمِكُمْ عَلَى عِلْمٍ
وَيَعِينُ أَنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَقَلَّقَ قَبْلَ
وُضُوعِهِ . وَالْحُدَيْمِ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَعْرَاضِ سَيِّدِهِ لَا يَسْتَفْزَهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ إِلَّا تَرْعَاجُ قَبْلِ اسْتِدْفَائِهَا . فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتُؤْتُوا أَنَّنَا لَمْ نُقْصِرْ فِي أَعْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّةِ لَدُنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجِبَ
الْكِتَابُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْعِ النَّبَوِيِّ سَنَةَ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَأَحُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَّاكُشِ وَفَاسِ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَاكِ
السَّعَادَةِ شَمْسُهُ . وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ الْأَفْرَنْصِيِّ الْمُتَوَيِّ
أَمْرُهُمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَيَّ حَضْرَتُنَا الْعَلِيَّةُ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةً وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةً وَأَلْفٍ الْمُتَمَيَّنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَيَّ يَدِ نَائِبِ قُونُصُوكُمْ بَرَطْلَمِي
دِبْطُنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رِعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ
فِي الْمَمْلَكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَيَّ سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زِلْنَا تَسْعُدُكَ
رِعْيَتِكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْنَا أَنَّ سَفْنًا مِنْ سَفْنِ الْأَفْرَنْصِيِّ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلِيمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامِنَا لِلصَّخْرَاءِ اِنُوجِهَهُمْ اِلَيْكُمْ بَعْدَ الْاِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيَا لِلْمَهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصْلِكُ سِتَّةٌ مِنْ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا اِلَيْكُمْ . وَخُدَيْنَا الْمَذْكُورُ لَا تُبْطِؤُهُ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ اِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْغَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ اِلَيْهِ وَتَحْنُ مَعَكُمْ عَلَي الْمَهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
اَتَتْهُي . صَدَرَ الْاَمْرُ بِكْتَبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ اَنَا صَبُّ اِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ نَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقُ بِلِسَانِي .
وَأَسْمَاكَ حُلُوٌّ عَلَي لَهَوَاتِي وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخَذَهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُحَمَّدٍ عَلَي الْاِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَفُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَي الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوهُ الى مَادِيَةِ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تُشْرِفُ عَلَي رَوْضَةٍ تَضَاحِكُ الشَّمْسُ حَسَنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعَلِّمُهَا فِيهِ مَشْرِقَةٌ بِمَائِهَا . حَالِيَةٌ بُنَوَّارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَي سَوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ) : هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقْصَى الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
 انْتِجَاعُهَا وَحَثُّ الْمُطِيبِ فِي ابْتِغَائِهَا . فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْتِ مَنْظَرَهُ حُسْنٌ وَجْهَكَ وَطِيبَ شَمَائِكَ . وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ : الْمُوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا . وَالصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا . وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسَبْتَ كَانَهَا أَعْيَادُ .
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ . وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكثِرُ دَوَائِمَهُ
 تَصَاقُفُ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ . تَمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمُجَدَّدَةَ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْغُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أُنْسَ بَعْدَهَا (لابن عبد ربّه)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ) : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
 الظَّمَا بِفِرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرِّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ . وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا يَزِيَارَتَكَ أَتُوقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤَسِّنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتَ . (فَأَجَابَهُ) : أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًّا يَعْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ) : يَوْمًا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا . فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا . وَبَكَتْ طِيبَ الشَّمُولِ وَيَشْفَى
 الْغَلِيلُ . فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَفَّتْ شَمَلُنَا . وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَّمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ ضَعْفِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةٌ أُلْوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَابِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِحَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَأَسْتِكَانِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَجْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتِكَ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّكَ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهْدِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَدْرُ وَالنَّبِيُّ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ أَلْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كَلَّمَا لَطَفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كَلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعُ وَأَوْفَعُ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَّرَتْ
بِي هِمَّةٌ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَّرَتْ هِمَّةٌ بَلَّغَتْ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا النَّدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمَلِكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتَنِي فِيهِ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتَنِي مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَسْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمثَالِهِ

أهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرُّعِيَّةِ فِي أَلْهَادِيَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتُرَ أَطْفَانِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخْفُ مَوْنَهُمْ وَتَهْوَتْهُمْ كَلْفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا النَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَخَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمَقَهَا بَعَيْنِ
 الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمَقَلَّةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 الْفَاكِهَةِ التَّفَاحُ أَجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التِّبْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنْ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

كُتِبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ فِي الْمَهْرَجَانِ :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِإِلْطَافِ الْعِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهِمَّةُ فَكْرَهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ :

وَمَا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرُمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يِعْزُ عَلَى الْهَوَانِ
 يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

فصول في التهنية

كُتِبَ السُّلْطَانُ الْعَزِيزُ إِلَى ابْنِ مَقْشَرِ الطَّيِّبِ النَّصْرَانِيِّ يَهْنئُهُ بِبَرِّهِ مِنْ مَرَضِهِ

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِنَا سَلَّمَ اللَّهُ سَلَامًا اللَّهُ الطَّيِّبُ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَّتْ إِلَيْنَا الْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

وَبِرِّئِهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلْنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصِّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفْضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لابي الفرج)

في التروية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنِفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَأَسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِمْهُم يَوْمَئِذٍ دَرَهُ الْأَمْتَحَرَفًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَاِلِدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرًا وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا نَحْلًا
وَلَا تَمْحَرُّوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجْرًا مُشْرًا . وَلَا تَعْرِوْا بِهَيْمَةٍ إِلَّا
بِهَيْمَةٍ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَعْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسْتَمِرُّوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ زُهَبَانَ تَرْهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْتَدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَتَمَلَّوْهُمْ
وَالسَّلَامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أما بعد فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ أمرك .
فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتطعيك على من دونك فأحترس
من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة . وإياك أن تسقط
سقطه لأشوى لها وتعثر عثره لأعالمها (أي لا إقالة) . والسلام

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أما بعد فإني أمرك ومن معك من الأجناد يتقوى الله على
كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيده في
الحرب . وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي
منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم .
ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا
كعدتهم . فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة .
وإلا نصر عليهم بفضلنا لم تغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم في سيركم
حفظه من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم . وأسألوا الله العون
على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . أسأل الله ذلك لنا
ولكم . وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً تبعهم . ولا
تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص

قُوَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمِ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِم
بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَوَلِيَّةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا
أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ . وَنَحْ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
الْصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَمَيَّقَ بِدِينِهِ . وَلْيَكُنْ
عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نُصْحِهِ وَصِدْقِهِ .
فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلْيَكُنْ مِنْكَ
عِنْدَ دُنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْفِرَ الْأَطْلَاعَ وَتَبَثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَيَقُّظُ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ . وَاللَّهُ
وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الدم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِلْمَعْرُوفِ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ .
فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَوَلِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فِرَارًا مِنَ الْفَقْرِ وَرَجَاءَ لِلْغِنَى وَأَزْدَدْتُ بِهِمَا بَعْدًا مِمَّا
فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
لِإِنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي . أُرْتُ بِالْيَأْسِ مِنْ

أهل البخل فسألهم . ونهيت عن منع أهل الرغبة فمعتهم

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إن مودة الأشرار متصلة بالدلة والصغار تميل معها وتصرف في آثارهما . وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفس وأزولها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلك عند الضعة وضاعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء وأطراحك لإخوان الصفاء . فكان ذلك أقوى أسباب عذري في طبيعتك عند من يتصفح أمري وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ولا ترى التسيح حسناً

فصل في العتاب لعبدالله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن غريمة الرأي فيك . ابتدأتني بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب . فأطمعني أولك في إخوانك وآيسني آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن غريمة الرأي فيك . فأقننا على اختلاف . وأفترقنا على اختلاف

وله أيضاً في هذا الباب

٣٧٧ لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك وكرم إخوانك ودوام عهدك لطال عني عليك في توأمة كسبي وأحتباس جوباتها عني . لكن الثقة بما تقدم عندي تعذرک وتحسن ما يقبحه جفارك . والله يديم نعمته لك ولنا بك

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَفْتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّقْرِيعِ اللَّطِيفِ .

فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنِ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلَّظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَهَةِ . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانٌ اللَّذَاتِ عَنِ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

(فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : يا ابي اقرأ هذا الكتاب
واكتب اليه بما يردعه عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد) :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَيْتَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّاغِلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ . فَعَاوِذَ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَسِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ . وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ
بِغَيْرِ كَلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلٌ الْهُوَى
وَالرَّأْيِ لِلنَّائِكِ الْمَحْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ الْهَوْلَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْتِحَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوَى بَدْنِيَا يُصِيبُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا حَظَّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
 فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظُرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَانَتِهِ التَّقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَرَمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهَرْتَ بِمَخَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وَدُكَ وَيَتَمَسَّكُونَ
 بِعَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَوَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَنْتَهَوْا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَرَادَا نَابِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ
 اخْتِيَارِكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) إِنَّ مِمَّا يُطِيعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنْكَ أَحَدْتَهَا بِحَقِّهَا وَأَسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَّقَلُّ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجِنُّ إِلَى عُصْرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْتَهُ وَتَزَلَ فِي مَغْرِسِهِ ضَرْبَ بَعْرِقِهِ وَسَمَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ الطَّيْعَةَ

فصل له ايضاً

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَفْتَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلِّينِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلم
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ سُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ تَلَمَّهُمُ الْمُجَدِّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمُ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَحْمَلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكِ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

يَا اللَّهُ الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَأَخْلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
 لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وله) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ
 الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْأَجْرُ وَالْجَزَعَ يُعْقِبُهُ الْهَلْعُ . فَمَتَّسِكْ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَمَلُّ
 بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُدْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزبه بولده :

٣٨٦ أَمَا بَعْدُ فَإِنْ أُسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
 فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبِضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
 فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَاهُفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
 لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَتْ أَنْتَ
 مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
 وَخَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لُهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمُشَارِكِ
 فِيهَا بَأْسٌ يَا لِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أُنِي
 مَخْصُوصٌ بِهَا ذُو نَاكَ مُؤَمَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ . فَأَنَا عَليُّ مُصْرُوفُ الْعِنَايَةِ
 إِلَى عَليُّ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتَ إِنْ أَحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثْرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِعَيْتِكَ . وَأَصْدَقَ
الْخَبْرَ مَا حَقَّقَهُ الْأَثْرُ وَأَفْضَلَ الْقَوْلَ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق يوصي ابن أبي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْفِعِي مَنِّي . أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدْنَا إِلَى غَيْرِنَا فَانْكَفِرْ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ سِتْرُ
الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حَرَمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . تَبَسَّطَ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) مُوَصِّلٌ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بَعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخَلَّتِي .
فَلَيْسَانَهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الْعَشْرُونَ
فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأمة الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . أَحْيَامُ
لِسُكْنَانِهِمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكِسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدَّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرَقَةً وَيَتَدَعُونَ الرِّزْقَ فِي
غَايِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الْقَنْصِ وَتَخَطْفِ النَّاسِ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةَ الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأُتْبِجَاعًا لِمُرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَارْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَالِسِهِمْ وَحَمْلِ
أَثْقَالِهِمْ وَدِفْقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَأَخْتَصُوا لِذَلِكَ بِسُكْنَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا أَلْيَنَ وَالْحِجَازَ وَمَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِإِخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرِّمَالِ وَالْقَفَارِ الْأَحْيِطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْأَهْلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ وَزُخْرَفِ الْأَرْضِ لِرَعْيِ الْكَلْبِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّنْقُلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَصْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَفْوَاتِ فِي
سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرَبْمَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْعُمُرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعْرَاتٌ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرَعْيِ الزَّرْعِ مُخَضَّرًا أَوْ تَهَابِهِ دَائِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَزَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَّةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا ثُمَّ يَنْحَدِرُونَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ إِلَى الْفِقَارِ لِرَمْعِي شَجَرِهَا وَنِتَاجِ
 إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
 وَظَمًا نَبْتِهِمْ مِنْ أَدَى الْبُرْدِ إِلَى دِفءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
 مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
 صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
 وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تَيَّابًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ . لِقُضُومِ أُمَّهِ الْبُرَيْرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
 اِعْتِقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجْرًا تَنْكِبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : اِخْتَلَفَ فِي نَسَبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْنِقٌ مِنْ
 الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصْحَبُ
 أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةٍ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جَيْلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
 كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكَبْرِ وَالْتَجْبُرِ . وَقَدْ
 قَسَمَ الْمُورِخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَابِيَّةٍ وَمُتَعَرَبِيَّةٍ وَمُسْتَعَرَبِيَّةٍ .
 أَمَّا الْعَرَابِيَّةُ فَهِيَ الْعَرَبُ الْأُولَى الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
 لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَبِيَّةُ فَهِيَ عَرَبُ أَيْمَنٍ مِنْ وُلْدِ قُحْطَانَ
 وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَبِيَّةُ فَهِيَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

أخبار العرب العاربة أو البائدة وهم القسم الأول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادُ وَتَمُودُ وَطَسَمٌ وَجَدِيلِسٌ وَجَرَاهِمٌ
 الْأُولَى . وَقَدْ تَسَمَّى هَذَا الْجَيْلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هَذَا الْجَيْلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعَرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ اللَّيْلِ وَصَوْمُ
 صَائِحٍ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعِلَةِ لِلْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمُ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَمَالِكِ وَأَسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمُ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقَرْيَةِ فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِخُّوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَايِبِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَحْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَارًا الْجَدِيسَ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادِمِ انْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَلْيَسُوا مِنَ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِزْرَهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةَ لِتُرُوبِهِمْ بِالْبَائِدَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِبَةِ وَتَحَلَّفَتْهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ
أَرْفَحَشَدَ بْنِ سَامٍ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبٌ يُقْطَانُ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنَ وَلَيْسَ التَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاَصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَائِدَةِ مُبْعِدِينَ عَنِ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفُهُ
الَّذِي كَانَ لِأَوْلَائِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرْفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَالَ لَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جِوِّ الْقَفْرِ
أَفْحَادُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَادَهُمْ بِنَاكِيَهُمْ وَأَسْتَجَدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوِيَهُ
سُمِّيَتْ أَلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَوَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْتِ اللَّغْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَيْدِيًا فَصِرْتُمْ مُعْرَبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكَنتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَأَلْبَاهِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَعْرَبَ ابْنُهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرَ
 الْغَزْوِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينِهِ مَارِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلٍ مِنْهَا (للنويري وابن الاثير)

سد مأرب وتفرع بني سبا

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَارِبٍ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاثِنًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقِيهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِثْمَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حِمِيرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَدَوَلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَثْرُفٌ وَأَبْدُخٌ وَأَعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَوْلًا لَ التَّبَاعَةِ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَاوِيَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضِطُّهُمْ الْحَصْرُ وَلَا تَقِيدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَأَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَعَرِّيًا جُهْدَ الْأَسْتِطَاعَةِ عَنِ طُحُوسٍ مِنَ الْفِكْرِ وَأَقْتِئَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأَصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوَالِدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ
 حِمِيرٌ وَعَمْرُوٌّ وَكَهْلَانٌ فَيُعْزَى التَّبَاعَةُ إِلَى حِمِيرٍ وَالْمُنَادِرَةُ إِلَى عَمْرُوٍّ وَيُنْتَمَى

الْفَسَائِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَنُورِدُ بِالْتَّخْيِصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بنو حمير في اليمن

(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمِينِ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا هَكَذَا وَاحِدٌ قَامَ آخِرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتَبَاعٍ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمِينُ وَالشَّخْرَ وَحَضْرَمَوْتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيَسْمَى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبَاعٌ . وَأَمَّا حَمِيرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِجِ (٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّحَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَابْنُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمِينِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَغَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَفْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمِصَانِعَ وَأَبَقِيَ الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبَاعٌ الْأَوَّلُ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُتِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذي الازعار وشرحيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ الْبَرَبَرِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَرَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رِطَابَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبِرَتَهُمْ . فَسَمَّوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقِسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :
يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِهَلْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْضَطْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ حَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَدَّتِ الْمَلِكُ شَرَحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَّ شَرَحِيلٌ بِالْمَلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهُدْهَادُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشممرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهُدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَتْ
عَلَيْهِ بِنْفِيسَ الْهُدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمَلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَدَّ أَنْعَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْمَنِّ
وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثَرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْحَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَقْطَبُ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمَّرُ مَرْعِشٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَرْعَاشِ كَانَتْ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخِرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَاعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
 وَأَبْعَدِهِمْ مَقَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِىءَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
 وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ أَقْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
 جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجْمُ سَمْرُ كَنْدَ أَيُّ سَمْرُ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
 فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبْتَهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمْرَقَنْدُ . وَشَخَّصَ مِنْ أَيْمَنِ
 غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحَيْرَةِ فَتَخَيَّرَ عَسْكَرَهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَيْمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
 وَهَادُواهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَعْرَاءَ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
 قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
 الصِّينِ . قَالَ التَّوَيَّرِيُّ : وَكَانَ لِلْمَلِكِ الصِّينِيِّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
 الْبَأْسِ سَامِي الْأَهْمَةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ أَيْمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
 كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
 أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلْلِ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةَ لِإِقْتَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
 بِهِ تَبَعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَرَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
 يَفْتَدِيهِمْ حَتَّى أَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةِ . فَتَوَعَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحِيحَةٍ
 لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
 وَهَمَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
 حَتَّى مَلَكَ عَمْرُوبْنُ عَاصِرِ الْأَزْدِيِّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيَّقِيًا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُرْقَةً ، لِئَلَّا يَجِدَ
 أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م)

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلَ الْمَجَاوِرَةَ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ . وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَمِيرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تَبَانِ
أَسْعَدُ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعِيَةِ لَسَمَى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَأَسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ
خَمِيرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَهُمْ فَضَّلُ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَائِسٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْأَحْوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكِرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ الْإِمْنِ كَسَبَ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَفَطِنَ لِسَانُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارِّينَ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطَّأ بِلَادَ الْعَرَبِ . فَأَخْطَقَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
مَخَلَّةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَابْتَاعَ

صَالِحًا آخِرٌ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ أَلَيْتٌ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مَصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحَ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكْتُهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَدُّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلَّ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَفَّتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عَيْسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَمِعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَتَهُ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُعْجَزَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقِتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ امْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي لِشَيْءٍ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةٌ أَشْهُرٌ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّبَتْ . فَقَالَ لَهَا
الْقَلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تَتَفَقَّحِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالِ لَهُ دَوْسٌ ذُو
 ثُعْلَبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
 الرُّومِ يَسْتَشِيرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَهُ تَهَ السُّفُنُ
 وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهَّدَ
 إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَجْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
 أَلْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
 وَبَقْوَمِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَجْرِ وَخَاضَ صَخْرًا حَاهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
 عَمْرَةَ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرَ التَّبَايَعَةِ
 (٥٢٩ م) . وَوَطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ أَلْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَ تِ
 حَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونِ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَةَ أَحَدَ رُؤَسَاءِ
 جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَا لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
 إِلَى أَرْيَاطُ عُظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَغَطَّارِيْفُهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
 أَرْهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُقِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
 أَرْهَةَ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسِّيفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَاسْرَعَ السِّيفُ فِي دِمَاعِهِ
 وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا حِينئِذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
 وَكَانَ أَرْهَةَ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لِحْيًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ .
 فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْقَلْبَيْسِ (*) فَأَنْتَشَرَ خَيْرُ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ
(٥٧١ ب م) مَلِكُ مَسْكَانَهُ أُنْبُوهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَاسْتَفْحَلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْيَمَنِ . وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَاسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَلَمَّا كَانَ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (لِلأَزْرَقِيِّ)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ . وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحُبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
الْحَمِيرِيِّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أَوْلِيكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحَمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحُبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحُبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحَيْرَةَ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْدَرِ عَامِلِ فَارَسَ عَلَى الْحَيْرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنَ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَاسْتَمَهَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْقَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحُبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . أْبَعْتَهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وَكَانَ الْقَلْبَيْسُ مَرَبَعًا مُسْتَوِي التَّرْبِيعِ وَجَعَلَ طَوْلُهُ فِي السَّمَاءِ سِتِينَ ذِرَاعًا وَحَوْلُهُ
سُورٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَلْبَيْسِ مِائَتَا ذِرَاعٍ مُطِيفٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجَعَلَ بَيْنَ ذَلِكَ كَلْبٌ حِجَارَةٌ
تَسْمِيهَا أَهْلُ الْيَمَنِ الْجُرُوبَ مَنقُوشَةٌ مُطَابِقَةٌ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا إِلَّا بَرَةٌ مُطَبَقَةٌ بِهِ . وَكَانَ
لَهُ بَابٌ مِنْ نَحَاسٍ يَدْخُلُ إِلَى بَيْتٍ فِي جَوْفِهِ طَوْلُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا مَمْلُوقُ الْعَمَلِ
بِالسَّاجِ الْمَنقُوشِ وَمَسَامِيرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَقْرُودُهُ مُضْرُوبَةٌ بِالْفَيْسِفَاءِ مُشَجَّرَةٌ بَيْنَ أَضْعَافِهَا
كُوكَبُ الذَّهَبِ ظَاهِرَةٌ . ثُمَّ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْقَبَّةِ جُدْرُهَا بِالْفَيْسِفَاءِ وَفِيهَا صُلْبٌ مَنقُوشَةٌ
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَفِيهَا رُخَامَةٌ مِمَّا يَلِي مَطْلِعَ الشَّمْسِ مِنَ الْبَلْقِ مَرَبَعَةٌ تَنْفِثُ عَيْنَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ
بَطْنِ الْقَبَّةِ . تُوَدِّي ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ الْقَبَّةِ . وَكَانَ تَحْتَ الرُّخَامَةِ مَنبَرٌ مِنْ خَشَبِ
الْبَلْحِ وَهُوَ الْإِنْبُوسُ مَفْصَلٌ بِالْعَاجِ وَدَرَجُ الْمَنبَرِ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ مَلْبَسَةٌ ذَهَبًا وَفِضَّةً (لِابْنِ إِسْمَاعِيلِ)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أُرْدَدَتْهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا
 ثِنْتًا ثَمَانَةً وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزْرُ الدَّيْلَمِيِّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمْرٌ وَهَزْرُ ابْنِهِ أَنْ يُنَاشِئَهُمُ الْقِتَالَ
 فَتَتَلَوْهُ وَأَخْفَظَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
 تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَعَلَّقَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَ وَابِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَمَ الْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٦٠١) . وَأَنْصَرَفَ وَهَزْرُ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرْسِ صَمَّهْمُ إِلَيْهِ عَلَى
 فَرِيضَةٍ يُودِّي بِهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنَّ الصَّخَاكَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
 لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَأَخَذَ مِنْهُمْ طُلُوبًا بِيَرِيسَعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْحَرَابِ فَتَتَلَوْهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَأَسْتَمَرَّتْ عَمَلُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بَأَذَانَ فَاسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذبة الابرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجليل الأول فلم يصل إلينا
تفاصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تمزقت عرب
اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاة
وهما حيان من أحياء الأزدي من بني كهلان ممن تمزق إلى العراق .
فقال ملك بن فهم الأزدي لمالك القضاعي : نقيم بالبحرين
وتحالف على من نوانا فتحالفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك
الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي شاعرة
فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم
الأزدي . وسارت قضاة إلى الشام مع مالك القضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح)
وكان منزله بالأنبار فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل
وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رماه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شرأجزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما أشد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فإظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك
جذبة الابرش . (٢١٥ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد
النكاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وسن الغارات على

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَبُرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَعْتَهُ بِهِ إِعْظَامًا
 فَسَمَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَأَسْتَوْلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
 الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الثَّرَى الْمَجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يُجْبِي
 أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيْسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَمَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
 أَضْحَى جَذِيمَةٌ فِي الْأَنْبَارِ مَنَزِلُهُ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
 فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكٍ . وَكَانَ جَذِيمَةَ
 مُلْكٍ مَعَدٍّ وَبَعْضِ أَلِيَمٍ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنَ حَسَّانِ
 ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزُّبَّاءِ مُلْكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزُّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
 حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمُوسَتَيْنِ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٥٥ فَمَوَتْ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
 رِقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحِيرَةَ مَنَزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
 يَعْدهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
 يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو وَبَطَلُ الثَّارِ مِنَ الزُّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتْ
 الزُّبَّاءُ نَيْتَهُ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقَلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
 قَصِيرِ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَاةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزُّبَّاءِ يَشْكُو مَا
 أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَوَأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ الزُّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
 وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكِي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَأَكْرَمْتَهُ وَقَرَّبْتَهُ
 حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَحَمَّهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرٌ وَمَلِكًا
 مَدَّةَ عَمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمُغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَيُجْبِي إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ وَتَفْدُ عَلَيْهِ الْوُقُودَ دَهْرَهُ الْأَطْوَلَ . لَا يَدِينُ
 لِلْمُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ مِمَّا يَؤَاغِبُهُمْ وَمِمَّا لَا يَؤَاغِبُهُمْ . فَفَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ مُجَاوِرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَحَفُوا بِالسَّامِ وَأَنْضَمُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُحَدِّثُونَ أَحْدَانًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتَهُمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ نُهْجَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُثُ الْأَوَّلُ تَنُوحٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَ وَيُبُوتَ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الْفَرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحِيرَةَ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالْأَثْلُثُ الثَّلَاثُ الْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةَ أَيَّامَ
 مُلِكِ عَمْرٍ وَبْنِ عَدِيِّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَتَبَلَّغَتْهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ .

(للنويري وحمزة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والحرق والنعمان الاعود السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرٍ وَبْنِ عَدِيِّ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفُرْسِ . ثُمَّ وَوَلِي مَكَانَهُ ابْنَهُ عَمْرُو (٣٣٨ - ٣٦٣) ثُمَّ
 عَقَبَهُ أَوْسُ بْنُ قَالَمِ الْعَمَلِيِّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ نَارَ بِهِ حَجَّابًا أَحَدَ بَنِي
 فَازَانَ فَقَتَلَهُ . (٣٦٤ ب م) وَوَلِي مَكَانَهُ مَدَّةً ثُمَّ وَوَلِي مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
 الْقَيْسِ (الثَّانِي) . (٣٦٨ - ٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
 بِالْمُنْذِرِ وَالْمُحَرَّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
 ابْنُ يَعْفَرَ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
 النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوْرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
 النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرٍ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنَهُ بِهَرَامٍ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
 بِنَاءِ الْخَوْرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
 وَجَاءَهُ مِنْ بَنِي يَلْقَنَةَ الْخِلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ
 عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيَّةٍ . وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
 الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدِ اتَى الشَّامَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَابِ
 فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَعَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْقِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
 وَأَهْلَهَا الْفُرْسُ وَدَوْسَرَ وَأَهْلَهَا تَبُوحَ . فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
 الْعَرَبِ . وَكَانَ صَارَ مَا حَازَ مَا ضَاطَبًا مُلْكِهِ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْحَوْلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيْرَةِ . وَالْحَيْرَةُ يَوْمَئِذٍ
 سَاحِلُ الْفَرَاتِ . وَمَلَأَتْ عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
 وَرَرِيهِ ثُمَّ زَهَّدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحُ زَدَّ هَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامر القيس الثالث

٤٠٧ ولما ترهد النعمان قولى الأمر ابنه المنذر الاول (٤٢٠ ب م)
 وكان أهل فارس ولوا عليهم شخصاً من ولد أزد شير وعدلوا عن بهرام
 لنشئه بين العرب وخلوه من آداب النجم. واستنجد بهرام بالعرب
 فجهز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه. وحاصر مدينة الملك فأذعن
 له فارس وأطاعوه. واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام ففغانهم واجتمع
 أمره. ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو إلى موته (٤٦٢ ب م).
 وملك مكانه النعمان الثاني وكان وزيره عدي بن زيد النصراني
 فنصره * وترهدا (٤٦٩). وملك مكانه أخوه الأسود وهو الذي انتصر
 على عساكر عرب الشام وأسردة من ملوكهم ثم هلك (٤٩١). وملك
 أخوه منذر الثاني سبع سنين ثم ابن أخيه (٤٩٨) نعمان الثالث. ثم
 استخلف أبو يعفر بن علقمة الدميلى (٥٠٣) وذميل بطن من لحم. ثم
 ملك امرؤ القيس الثالث (٥٠٦) هذا هو الذي غزا بكر يوم أواره
 في دارها فكانت بكر قبلة تقيم أود ملوك الحيرة وتعصدهم. وهم
 أيضاً باني العذيب والصنبر وفيهما يقول جبير بن بلوغ:
 لیت شعري متى تحب بنا الناقة نحو العذيب والصنبر

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ ولما هلك امرؤ القيس الثالث ملك المنذر الثالث ابنه وهو ذو

الْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبْلَ لِابْنِي عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرَائِي
عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى بَيْتِهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةَ بْنَ كَلْثُومٍ
قَتَلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ (٥٦٢ ب م) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدِ الْمَلْقَبُ بِالْمُحَرِّقِ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنَ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً (٥٧٨) . ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقَهُ قَابُوسُ أَرْبَعِ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشِرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرٍ وَسَلَبَهُ (٥٨٢) . ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ النُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسٍ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ التَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِي الَّذِي بَنَى الْغُرَيَيْنِ وَتَنَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلْقَبُ بِأَبِي قَابُوسٍ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهِرُ الْحِيرَةَ ثُمَّ يُجْعَلُ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِ فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَقَعِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأَخْبَرَ بِهِمَا كَيْفَهُمَا . فَتَدَمَّ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرُ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَبُرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَتَنَ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ حَلِيقٌ
 ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا فَأَمَرَ بِنِئَاءِ الْغَرِيِّينَ عَلَيْهِمَا . فَبَدَا
 وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَينِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغَرِيِّينَ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
 يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
 مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ شُومًا أَيْ سُودًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
 يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانَ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيَغْرِى بِدَمِهِ الْغَرِيَّانِ .
 فَالَيْتَ بِذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْبٍ يُقَالُ لَهُ
 حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانَ فِي خَبَاءِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
 الصَّيْدِ وَأَنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
 يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
 النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
 هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
 أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
 مَا رَأَيْتَ أَفَلَا تَكُنْ مِيرَتُهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةَ
 أَفْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ : تَوَجَّلتُ سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذْ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
 حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ جِاسًا بِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَنْشَدَ :

يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه

يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكُ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَه

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيًّا مِنْ لَاحِيَالِهِ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَيْلٌ أَكْرَمَ اللَّهُ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَّاحِيلُ الْحَمَالَهُ
 رَقِيَّاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَاهِ

فَوَثَبَ شَرِيكَ وَقَالَ: أَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدُمِّي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِيِّ بِخُمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جُعِلَ الْأَجَلُ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةٍ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيَسْتَحْيِيَ الطَّاءِيَّ. فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسِّيفِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِيِّ قَدْ تَكْفَنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَقَلْتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوَقَاهُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى أَوْفَاءٍ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَأَعْرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِيَّ.

وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيُّكُمْ أَكْرَمٌ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي صَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ إِلَّا مِثْلَ الثَّلَاثَةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنِي النُّعْمَانِ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكُنَائِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أُرْوِي (٦٠٤ ب م) وَأَنْقَطَعَ الْمُلْكُ
عَنْ لَحْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الْإِغَانِي)

٣ الفساسة ملوك الشام بنوكهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالُ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
النَّازِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْسَرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمِينِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيَتْ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَتَزَلُّوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُّوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّعْسَانِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا زَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِيحٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّعْسَانِيَّةِ الْإِتَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي بَلَى جِبَابَتَهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَّاهُمْ سَيْطٌ وَقَصَدَ ثَعْلَبَةُ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتُعْجِلَنَّ لِي الْإِتَاوَةَ
أَوْ لَا خُذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِتَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ يَا خِيَّ جِدْعُ بْنُ عَمْرِو . وَكَانَ جِدْعٌ فَاتِكًا .
فَأَتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِتَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فحذوه . فتناول سيّطُ جفن السيفِ وأسْتَلَّ جذع نصله
 وضربه به قائلاً : خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوقعت
 الحرب بين سليح وعسّان فأخرجت عسّان سليحاً من الشام وصاروا
 ملوكاً . واستقر ملك الغساسنة ٤٠٠ سنةً بديف (*) (لمزة الأصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) هم بنو زيد بن
 كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملكٍ تأكل القوي الضيف حتى ملك
 حجرٌ وكان تبع حين أقبل ساراً الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن
 سياسة وانزع من الخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ م) .
 ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى
 ولّاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
 الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
 بنين ولأهم على قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متولياً على بني اسد فنقضوا امره وقتلوه . فقام
 امرؤ القيس واستنجد بيكر وتغلب على بني اسد فأنجدوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
 بهم . ثم تخاذلت عنه بكرٌ وتغلب وتطلّبة المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرى القيس
 خوفاً من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
 أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فآكراهه وأزله . وأقام امرؤ القيس
 عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرأه
 عند السموءل بن عادياء المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وألحق إننا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك إقماً نحاول ملوكاً أو نموت فنعدرا

فات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عسيب . ولما علم بموته هناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن ابي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بادرع
 امرى القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائةً وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
 امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تسلّم الأدرع وإما قتلت
 انك . فقال السموءل : لست أخفّر ذمتي فاصنع ما شئت . فدبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ نَزَلُوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سِدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةٌ كَانَا دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَلْيَمِينَ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ . وَأَصَابَ أَلْيَمِينَ قَحْطٌ وَقُرْشٌ وَنَحْوُ تِهَامَةَ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَخْتَلَوْا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلَوْا مَعَ الْعِمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَسَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتُوُفِيَ بِإِلَاءَةِ
وَنَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وَوَلَايَتَهُ وَحِجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَنَا
طَالَتْ وَوَلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلُوا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَأَسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةِ
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَّأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَأَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحْبُ أَنْ تَنْزَلُوا فَتَضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأسر . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل

رفيت بأدراع الكندي إلي

إذا ما خان أقوامٌ وفيت

بني لي عاديًا حصنًا حصينًا

وبراءً كلما شئت استقيت

رفيمًا تزلق العقبان عنه

إذا ما نابني ضميت أبيت

وأرصى عاديًا قديمًا بالآ

(لابي الفداء)

تخدم يا سموءل ما بنيت

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدِرَ دَمُهُ (٢٠٧م) . ثُمَّ تَفَسَّرَتْ قِبَائِلُ الْيَمِينِ
وَأَخْرَجَتْ خُرَاعَةَ بَيْكَةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رِبِيعَةُ
أَبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَيْكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْأَبْلِ وَالْحَمَانِ عَلَى التَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمِينِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّابِيَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ يُسْتَعْسِمُونَ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سَدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصِيُّ الْقُرَشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَصْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي عَبْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصِيِّ بَرَقِ خَمْرِ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي عَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصِيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧م) . فَصَادَ
لِقُصِيِّ لُؤَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَمَيَّنَتْ قُرَيْشٌ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ الْعَلَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ
ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْعَجَاجِ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ (لللازقي)

(ملحق بتاريخ العرب) ١ اديان العرب

١١٤ كانت العرب في أول أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لُحَيٍّ
بضم يقال له هُبَلٌ . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ فكان الرجل اذا قدم من سفر بدأ
به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عند . وكان هُبَلٌ من خرز العقيق على
صورة انسان وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قريش فجعلت له يدا من ذهب .
وكانت له خزانه للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة
ويقولون : انا اختلنا فهب السراحا إن لم تقبله فسر القداحا
وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية
والاسلام . تتبرك الناس به وتمرؤونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نصب صنم
يُعرف بالخلصة سُموا بلبسوها القلائد ويهدون اليها الشعير والخنطة . فيصبتون
عليها اللبن ويذبحون لها ويلتقون عليها ببيض النعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم
السيارات من الكواكب . وهي المشتري وقيل ان اصل اسمه ذو شراء اي ساطع
النور . والزهرة وزُحل والمريخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم ايضاً المناة
واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قُذَيْد . وكانت صخرة تراق
عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجُذْب . وكانت اللات ايضاً صخرة
صنماً للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يَلْتَوِئُهَا بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا
وعظم ومنه اسم الخلافة . وأماً العزى فكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كِنانة
ويطوفون بها بعد طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللات
والعزى ومناة في كل واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراءى للسدنة وهم الحجبة
وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتحنوا إلها عبودهُ
دهراً طويلاً ثم أصابهم مجاعةٌ فاكلوه . فقيل في ذلك :

اكلت حنيفة رجباً زمن التقحُّم والمجاعة

لم يحدروا من رجبم سوء العقوبة والتباعة

ومن اديانهم المجوسية والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والاقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوَى

الكواكب قبيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس منافهم . وكذلك قالوا في الاشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة فتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزآبادي : ان قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجرهاء وتنوخ وتلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة اصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوّقا وابنها عيسى في حجرها قاعداً مزوّقا . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمس صورتها بل بقيتا الى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (للثوري والازرقى)

٢ علوم العرب وآدابهم

٢١٣ قاماً علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فعلمٌ لسانهم وإحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغارجا وعلم بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ولا هيأ طبايعهم للعناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيّد لآيائها والشاهد على أحكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يُحسِنون إلا بغلام يولد او شاعر ينجح أو فرس تُنتج . قال الصفي : بل ما كان للعرب ما تفتخر به إلا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كلَّ حَوْلٍ يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتعاطفون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وقضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القبايطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال لها معلقات لانها عُلقَت في استار الكعبة . أما الكتابة فحكّموا أن ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فعلمه قومٌ من الأتبار وجاء الإسلام وليس احدٌ يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القراطيس عندهم عمدوا الى كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والأميون . والاميُّ من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لابي الفرج والجوهري)

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الاول في التدئين
٦٤ اشعارٌ جارية مجرى المثل	٣ في كمالاته تعالى
الباب السادس في امثال عن السنة	٤ الدعاء لله
٦٨ الحيوانات	منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البازي والديك . برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرد	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساعة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغيلم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الضبعة والرجل . اسد وذئب وغراب	١٦ في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
٨٣ الجدي السالم والذئب النادم	١٧ عدي بن زيد والنعمان
٨٥ فارة وهر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ الهدهد الغير المتروى	١٩ الراهب المرجاني والشيخ عمر الصبني
٩٢ مالك الخزين والسمكة	٢٩ حفظ الحواس
٩٤ الديك والثعلب	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٧ الجمل والملح	٣٢ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العابثون بجمته	٣٥ التوبة الى الله
الباب السابع (فضائل والردائل ١٠٣	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٣ الصبر	٤٦ الباب الرابع في الحكم
١٠٥ القناعة	٥٠ نوادر بزرجهر حكيم الفرس
١٠٧ العدل	٥٢ حكم شاتاق الهندي
١٠٩ الكرم	٥٤ اشعار حكمية
١١٠ الوفاء الراي والمشورة	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٣ الحسد	٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
١١٤ حفظ اللسان وكتان السر	٦٣ نبد من كلام الزنجشري والبستي
١١٧ الغيبة	
١١٩ الصدق والكذب	

الباب الثاني عشر في الالغاز ١٨٢	١٢٠ المزاج
الباب الثالث عشر في الوصف ١٨٧	١٢١ الصداقة وخلوص المودة
الباب الرابع عشر الحكايات ١٩٤	١٢٧ المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٤ ابن الزبير ومعاوية	١٢٩ الباب الثامن الذكاء والادب
١٩٥ المنصور ومحمد بن جعفر	١٢٩ في العقل وماهيته وشرفه
١٩٦ عمر بن الخطاب والمعجوز	١٣٣ في العلم وشرفه
٢٠٠ معاوية والزرقاء	١٣٨ وصف الكتاب
٢٠٣ كريمان حصلا على الامارة بكرهما	١٤١ في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٨ يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك	١٤٢ في الشعر
٢٠٩ احسان كرم الى من قتل اباه	١٤٤ في الأدب
٢١١ جود معن بن زائدة	١٤٧ الآداب الظاهرة
٢١٢ ابرهيم الموصلي والمهدي	١٥٠ الباب التاسع في اللطائف
٢١٤ المرأة المتظلمة وابن المأمون	١٥٠ الحداد والامير
٢١٥ المرأة الكريمة	١٥١ الحججاج والفتية
٢١٨ الاعرابي ومالك بن طوق	١٥٢ ابو العلاء وكتاب الفصوص
٢١٩ الخارجي والمعتم	١٥٣ فتى فصيح علي بن الجهم والمتوكل
٢٢٠ قصة رجل اجار رجلاً استغاث به	١٥٤ درواس بن حبيب وهشام
الباب الخامس عشر الفكاهات ٢٢٥	١٥٥ الشاعر المتروى
٢٢٥ سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	١٥٦ المنصور وابن هبيرة
٢٢٨ ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي والرشيد	١٦٠ ابو عبادة البحتري عند المتوكل
٢٣٠ ثقيل وظريف	١٦٢ الركاؤ والرشيد
٢٣١ سنان بن ثابت والطبيب القروي	١٦٤ الأعمى والأعور
٢٣٢ حذاء ابي القاسم الطنبوري	١٦٦ اولاد تزار عند الافعى
الباب السادس عشر النوادر ٢٣٥	١٦٧ الباب العاشر في المديح
٢٣٥ ابن مقلة والواشي	الباب الحادي عشر في الفخر
٢٣٥ معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذة	١٧٦ والهجو
٢٣٦ مشهد الحسين	١٨١ ابن كلدة عند كسرى

وجه	وجه
٢٨٨	٢٣٧ مروءة اسماعيل الهزرجي
٢٩٠	٢٣٩ جود حاتم الطائي
٢٩١	٢٤٠ إيتار ابن مامة الايادي
٢٩٢	٢٤١ صنم سومناة
٢٩٢	٢٤٢ الباب السابع عشر الاسفار
٢٩٤	٢٤٢ مدح السفر
٢٩٤	٢٤٤ ذم السفر
٢٩٥	٢٤٤ سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية
٢٩٦	٢٥٥ الباب الثامن عشر في عجائب
٢٩٦	٢٥٥ المخلوقات
٢٩٦	٢٥٥ في شرح عجب الموجودات
٢٩٦	٢٥٩ في جرم الشمس ووضعها
٣٠١	٢٦١ في كسوف الشمس وبعض خواصها
٣٠٢	٢٦٢ فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠٢	٢٦٤ في المجرة والكواكب الثوابت
٣٠٤	٢٦٥ فصل في ارباع السنة
٣٠٤	٢٦٨ فصل في تولد الانهار
٣٠٤	٢٦٩ جسم الارض ودوراها وهيئتها
٣٠٤	٢٧٠ في السحاب والمطر وما يتعلق بهما
٣٠٤	٢٧١ في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك
٣٠٩	٢٧٣ الباب التاسع عشر المراسلات
٣١٢	٢٧٣ في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٣	٢٧٧ في الاشواق وحسن التوصل
٣١٤	٢٨١ فصول في التهئة
٣١٦	٢٨٢ في التوصية
٣١٦	٢٨٤ فصول في الذم
٣١٧	٢٨٧ فصل في المدح والشكر
فصول في التعازي	
فصول في وصاة	
الباب العشرون تاريخ العرب	
نظر في امة العرب وطباعتهم وسكناتهم	
ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	
اخبار العرب العاربة او البائدة	
العرب المتعربة بنو قحطان	
ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان	
سد مأرب وتفرع بني سبا	
ملك التبابعة بني حمير في اليمن	
ملك شداد وتبع وافريقس وذو	
الاذعار	
ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	
ذونواس وشهداء النصرانية في نجران	
استيلاء الحبشة على ملك اليمن	
اخبار سيف بن ذي يزن	
ملك المناذرة بني كهلان في العراق	
ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي	
امروء القيس البدء والمحزق والنعمان	
المنذر والنعمان والاسود وامروء القيس	
ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس	
خبر تنصر النعمان	
الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان	
ملوك كندة	
ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	
ملحق بتاريخ العرب	
اديان العرب	
علوم العرب وآدابهم	





0315334538

893.78

C411

v. 3

c. 1

OCT 10 1967

